

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الحياة الثقافية للجزائر خلال التواجد العثماني (1519-1671م)

من خلال كتاب تريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث

تحت إشراف:

د/ عبد العزيز راجعي

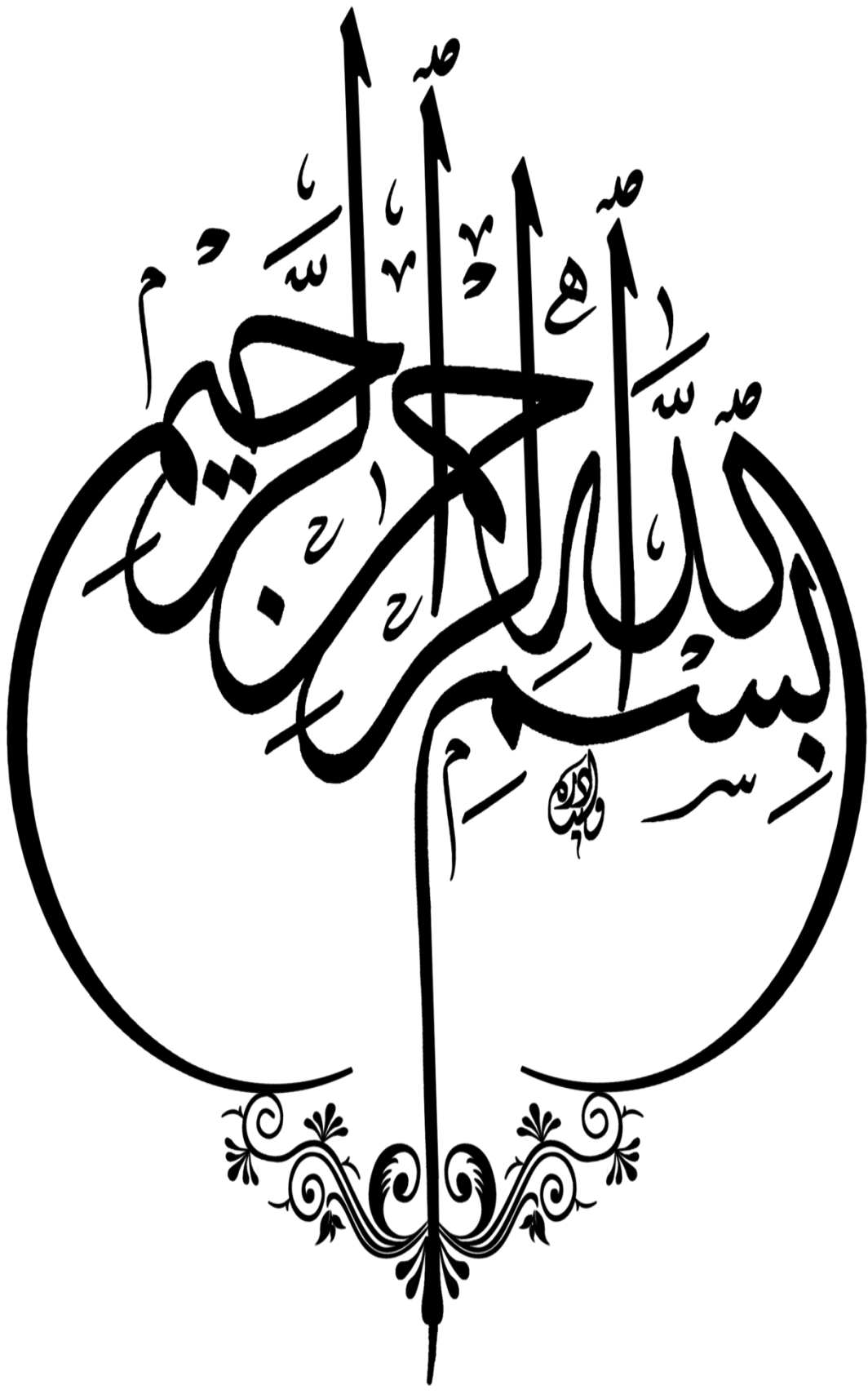
إعداد الطالبة:

حفصي سميرة

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أ.د. محمد يعيش.	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	د. عبد العزيز راجعي.	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. جمال بن مجدوب.	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1446-1447هـ / 2024-2025م



شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين فالشكر أولاً لله وقبل كل شيء بنعمته تتم الصالحات فهو نعم المولى ونعم النصير وبعد، يسعدني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور "راجعي عبد العزيز" على تفضله بالإشراف على عملي هذا . حيث لم يبخل عني بتوجيهاته القيمة ونصائحه التي كانت عوناً لي لإتمام هذا العمل فجزاه الله عني كل خير وأعظم جزاء.

إلى أساتذة اللجنة المناقشة لكم أسمى عبارات الثناء والتقدير والاحترام، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذة قسم التاريخ على المجهودات التي بذلوها من أجلنا.

ولا أنسى أن أشكر موظفي مكتبة قسم التاريخ بجامعة المسيلة وكل من ساهم من قريب أو من بعيد في تشجيعي ونصحي ومساعدتي ولو كلمة طيبة.

فلكم مني كل الشكر والتقدير وجزاكم الله خيراً جميعاً.

إهداء

أهدي عملي هذا إلى اللذين قال فيهما المولى عز وجل (وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) إلى من مهد لي طريق العلم والمعرفة، الى من كلله الله بالهبة والوقار إلى من علمني دون انتظار الى من أحمل إسمه بكل افتخار.

إلى من لأجل راحتي تعب "أبي الغالي" حفظه الله وأطال في عمره، إلى من دعاءها سر نجاحي التي لا يتوقف اللسان عن شكرها، الى من لا أسعى في هذه الدنيا إلا نيل رضاها وتقبيل رأسها "أمي الحبيبة" حفظها الله ورعاها وألبسها ثوب الصحة والعافية.

إلى الشموع المضيئة والأزهار المتفتحة وصفاء الوجود اللتين أدخلتا البهجة والسرور إلى قلبي بناتي (سجى ورهف) أطال الله في أعمارهن ومنحنهن الصحة والعافية وسدد الله خطاهن.

إلى من قضيت معهم أحلى وأجمل أيام حياتي وعشت وتقاسمت معهم الذكريات فكانوا أسعد الناس بنجاحي إخوتي: علي وفارس وأخواتي أم السعد، سعاد ونجاة وإلى أولاد أختي: جود، أصيل وأروى، إلى زوجي (فؤاد) والذي هو سندي في هذه الحياة.

إلى كل من يحمل في قلبه ذرة عطاء وتضحية لهذا الوطن الغالي، إلى كل من مد لي يد العون ووقفوا معي في السراء والضراء، إليكم أنتم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل.

قائمة المختصرات

صفحة	ص
مجلد	مج
جزء	ج
طبعة	ط
هجري	هـ
ميلادي	م
تحقيق	تح
تقديم	تق
تعريب	تع
ترجمة	تر
عدد	ع
دون طبعة	د ط
طبعة خاصة	ط خ
دون تاريخ نشر	د.ت
دون دار نشر	د.د
دون بلد نشر	د.ب

مقدمة

مقدمة:

في ظل السياسية الإستعمارية الفرنسية التي إستهدفت الجزائر منذ 1830م، لم يكن هدف الإحتلال مقتصرًا على السيطرة العسكرية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى محاولات ممنهجة لضرب مقومات الهوية الوطنية و الذاكرة التاريخية للشعب الجزائري، من خلال طمس التراث الثقافي الحضاري الذي تشكل عبر العصور، ولاسيما خلال العهد العثماني وسعت إلى تشويهه وإقصائه، غير أن المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" تصدى لهذه المحاولات عبر مشروعه العالمي(تاريخ الجزائر الثقافي) بجزأيه الأول والثاني ، حيث عمل على إبراز إستمرارية الشخصية الجزائرية ومظاهرها الثقافية عبر العصور خصوصا خلال العهد العثماني، مؤكداً عمق الجذور الحضارية للأمة وثرائها الثقافي رغم محاولات الطمس والتغريب ، وعليه ومن مظاهر هذا المنطق نخص بحثنا هذا في دراسة تسلط الضوء على مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال بداية التواجد العثماني، وذلك من خلال تحليل الجزئين الأول والثاني من كتاب تاريخ الجزائر الثقافي "لأبي القاسم سعد الله"، الذي هو مرجع علمي يعيد الإعتبار للحياة الثقافية في الجزائر خلال التواجد العثماني (1519-1671م).

1. إشكالية الموضوع:

تمثل الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1519م و1671م إنضمام الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية على الجزائر، وهي فترة تميزت في غالبها بالتحويلات السياسية والعسكرية، غير أن الحياة الثقافية خلال هذه الفترة الزمنية لم تكن بمعزل عن هذه التغيرات. وعليه أطرحت الإشكالية التالية:

كيف تعاملت السلطة العثمانية مع الوضع الثقافي في الجزائر خلال الفترة

(1519-1671م) كما يعرضها أبو القاسم سعد الله في مؤلفه (تاريخ الجزائر الثقافي)؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

- ماهي الخصائص الثقافية العامة في الجزائر قبل التواجد العثماني بها؟
 - ما هي أبرز المؤسسات الثقافية خلال هذه الفترة (الزوايا، المساجد، الكتاتيب...)?
 - كيف كانت العلاقة بين السلطة العثمانية والنخب الثقافية (العلماء، الفقهاء...)?
 - ما مدى التأثير العثماني في الوضع الثقافي؟
 - كيف وظف "أبو القاسم سعد الله" مصادره ومناهجه لعرض هذه الحياة وتجاوز النظرة الإستعمارية لتلك المرحلة؟
 - كيف قدم سعد الله هذه المرحلة: هل ركز على التطور، الجمود، أو التفاعل بين العثمانيين والمجتمع المحلي؟ وما موقفه من أثر العثمانيين على البنية الثقافية في الجزائر؟ وماهي القيمة الثقافية التي قدمها العثمانيون من الناحية الثقافية.
 - هل تأثرت الحياة الثقافية بالوضع الأمني والسياسي خلال هذه الفترة؟
2. أهداف الدراسة (البحث):
- تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية من أبرزها:
- التعرف على ملامح الحياة الثقافية خلال الفترة (1519-1671م).
 - تحليل تأثير التواجد العثماني على مختلف المؤسسات التعليمية والدينية في الجزائر.
 - تتبع حركية التعليم والعلماء والكتاب في الجزائر خلال هذه المرحلة.
 - بيان دور المؤسسات الثقافية والدينية في الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري.
 - تسليط الضوء على العلاقة بين السلطة العثمانية وفئة العلماء ودور هذه العلاقة في توجيه الحياة الثقافية.

- دراسة العوامل التي ساعدت على تطوير أو تراجع الحياة الثقافية خلال الفترة المدروسة.

- تسليط الضوء على مساهمة سعد الله في تأسيس كتابة وطنية للتاريخ الثقافي الجزائري، قائمة على الاستقلال المنهجي والوعي بالهوية.

- المساهمة في إثراء المكتبة التاريخية الوطنية.

3. دوافع اختيار الموضوع (أسباب): هناك دوافع ذاتية وأخرى علمية.

أ- الدوافع الذاتية:

- هي رغبة دافية في نفسي وشغفي بالدراسة المتعلقة بالجزائر خلال الفترة العثمانية وخاصة المتعلقة بالمراكز الثقافية والعلماء ووظائفهم، والأثر العثماني على مختلف الأوجه الثقافية في الجزائر.

- حب التطلع ومحاولة إثراء ثقافتني قدر المستطاع في معرفة الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري خلال التواجد العثماني ومعرفة الأسباب الكامنة وراء ذلك.

- الإشادة بمجهودات السلف في كتابة تاريخنا الوطني والإعتزاز به على غرار ما قام به المرحوم أبو القاسم سعد الله.

ب- الدوافع الموضوعية:

- في حدود إطلاعي ركز الباحثين المهتمين بتاريخ الجزائر في بداية العهد العثماني على الجانب السياسي والعسكري فيما ظلت الجوانب الأخرى بحاجة إلى المزيد من الدراسة وهو حال الحياة الثقافية.

- قلة الدراسات الجزائرية الأكاديمية مقارنة مع الدراسات الأجنبية.

- تمثل بداية التواجد العثماني في الجزائر لحظة مفصلية في التاريخ الوطني، حيث تشكلت خلالها بنية ثقافية ودينية واجتماعية ظلت حاضرة حتى مع قدوم الاحتلال الفرنسي، وهذا ما يبرز ضرورة دراستها من زاوية ثقافية خالصة.

- محاولة التصدي للتشويه الذي أصاب تاريخنا في مرحلة التواجد العثماني ولا سيما مسألة الانحطاط الثقافي للمجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة.
- يعتبر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي قاسم سعد الله؛ من أبرز المحاولات الجادة لتوثيق الحياة الثقافية في الجزائر من منظور وطني، وهو ما يجعله مادة خصبة للتحليل النقدي والفكري.
- المساهمة في تقديم صورة أو لمحة عن أهم العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة من خلال دراستي لها ومحاولة معرفة سبب التفاوت فيما بينها.

4. الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

يمتد الإطار الزمني الذي تناولته في دراستي من سنة 1519م ، وهي الفترة التي تمثل بداية التواجد العثماني الرسمي في الجزائر على إثر إنضمام الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية إلى سنة 1671م وهي فترة تمثل بداية عهد الدايات وتعتبر مرحلة فاصلة عن سابقتها (عهد البيلاز بايات و الباشوات والأغاوات) وذلك للأحداث السياسية والثقافية التي ميزتها.

أما بالنسبة للحدود المكانية في هذه الدراسة هي " الجزائر" التي كانت مسرح الأحداث وذلك إنطلاقاً من كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزئين الأول والثاني "لأبو قاسم سعد الله".

5. خطة البحث:

من خلال الكتاب والمادة المرجعية المعتمدة في هذه الدراسة، قمت بوضع خطة بحث مقسمة إلى مقدمة و فصل تمهيدي وفصلين آخرين وخاتمة وأرفقتها بقائمة للمصادر والمراجع التي تخدم الموضوع.

خصت **الفصل التمهيدي** للتعريف بصاحب الكتاب "أبو القاسم سعد الله"، من حيث المولد والنشأة وتكوينه ودرسته وتطرق في هذا الفصل كذلك إلى النشاط العلمي

والإنتاج الفكري ثم التعريف بالكتاب من حيث المحتوى وذلك بتقديمه ظاهريا مع ذكر أهم الدواعي التي أدت إلى التأليف في هذا الميدان، ثم تحدثت عن مضمونه وطريقة انتقاله في الحديث من عنصر لآخر، بعدها أضفت قيمة الكتاب مبرزة أهم الخصائص التي ميزت الكتابة عنده في هذا المجال

أما الفصل الأول خصصته للحالة الثقافية قبيل التواجد العثماني في الجزائر، من خلال ذكر الوضع السياسي أواخر القرن (15م) للجزائر وأهم المؤسسات الثقافية والتعليمية الفاعلة آنذاك، ثم أصناف العلوم وعلمائها والتعليم ورجاله ووسائله نهاية العهد الزياني وكذا المؤثرات الثقافية والطرق الصوفية ودورها خلال هذه الفترة.

أما الفصل الثاني تضمن الحركية الثقافية في الجزائر بداية التواجد العثماني، وما شملته من مؤسسات ثقافية كالمساجد، الكتاتيب، الزوايا، وغيرها، ودورها في الجانب الثقافي وتأثيره على المجتمع، بالإضافة إلى سياسة التعليم، كما تطرقت إلى حركة التأليف وأهم العلوم السائدة آنذاك مع ذكر بعض النماذج من العلماء، وكذا دور الزوايا والمتصوفة ونشاط الطرق وأثرها على البيئة الدينية والثقافية. ثم أنهيت هذه الدراسة بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها.

6. المنهج المتبع في الدراسة:

هو المنهج التاريخي الوصفي، الذي يصلح لسرد مختلف الحوادث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني بارتباط كل ما كان له علاقة بالموضوع، ووصف مظاهر الحياة الثقافية كما قدمها " سعد الله " دون تدخل مباشر أو إصدار أحكام مسبقة، وكان إلى جانبه المنهج التحليلي المساعد على ذكر الأسباب وفهم الأحداث من خلال الشرح والتفسير للحياة الثقافية في الجزائر بداية التواجد من خلال تحليل معطيات تاريخية وثقافية وردت في تاريخ الجزائر الثقافي وفق بينتها الزمانية والاجتماعية.

بالإضافة إلى المنهج المقارن، الذي بين الوضعية الثقافية قبيل التواجد العثماني في الجزائر وأثناء التواجد وكذا مقارنة طرح "سعد الله" بالكتابات الإستعمارية، والقراءات

التقليدية للتاريخ الثقافي العثماني في الجزائر، وكذا المنهج الضمني (تحليل المحتوى)، وذلك لفحص بنية الكتاب والخلفيات الفكرية للمؤلف.

7. المصادر والمراجع:

إعتمدت في عملي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع منها من كان مدعما ومنها من كان مكملا، فكان على رأسها المرجع الأساسي والذي كنت مقيدة بما جاء فيه وهو كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول والثاني منه.

أ/ المصادر:

- ابن مريم التلمساني: في كتابه البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أفادني في ذكر بعض الشخصيات الثقافية والعلمية في نهاية العهد الزياني وبداية العهد العثماني في الغرب الجزائري.

- أبوراس ناصر العسكري: عجائب الأسفار ولطائف الاخبار، وهو عبارة عن وصف لرحالة جزائري في العهد العثماني، تعرفت من خلال كتابه على جانب من الحياة الثقافية في القرن 18 م، وتوجد فيه إشارات للجانب الثقافي في بداية التواجد العثماني في الجزائر.

- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، فهو يمثل شهادة حية لأحد علماء الجزائر في القرن 17 م، ساعد في كشف جزء من واقع الحياة العلمية والدينية في تلك الفترة، حيث يبرز صراع المفاهيم بين الجهل والبدع، والعلم والسنة، و"الفكون" لم يكن مجرد فقيه، بل شاهد عيان ينتمي الى النخبة العلمية التي عايشت بدايات التنظيم العثماني.

- محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، هذا الكتاب كان مصدرا مهما في دراسة الحياة الثقافية والدينية في الجزائر خلال بداية التواجد العثماني، من خلال ما يكشفه عن نشاط الطريقة البكداشية، وهي طريقة صوفية كان لها حضور واضح في الجزائر العثمانية.

ب/المراجع:

إضافة الى المرجع الأساسي المعتمد كتاب تاريخ الجزائر الثقافي كما سبق الذكر هناك مراجع أساسية أخرى:

- أبو القاسم سعد الله: مسار قلم (مذكرات)، حيث ساعدني هذا المرجع في فهم السياق الذاتي للمؤرخ، والكشف عن خلفياته الفكرية ونظرته لدور المؤرخ الوطني، مما يدعم تحليل منهجه في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي.

- أحمد مريوش وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، فهو كتاب من المراجع الهامة والمتخصصة، يوثق النشاط الثقافي والعلمي أثناء العهد العثماني، فقد ساعدني على معرفة دور الزوايا، الكتاتيب، المساجد، المدارس والعلماء في حفظ الهوية، كما كشف تأثير العوامل الاجتماعية والدينية على الحياة الثقافية الذي إستفدت منه كثيرا في دراستي.

- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ج2 يأتي هذا المصدر على ذكر طريقة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني. إلى جانب مجموعة أخرى من المصادر والمراجع التي أفادتني، وكانت بمثابة الضوء الذي إهتديت به في هذه الدراسة.

8 / الصعوبات:

لا يعد خوض غمار البحث في هذا الموضوع سبيلا هينا وإنما هو في الواقع مسلكا ذو إتواءات وعرة، لأنه يفرض على أي باحث تحاشي السطحية لإنجاز دراسته دراسة موضوعية شاملة، ولهذا وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية واجهتني بعض العراقيل منها:

أولا: ضيق الوقت الذي لم يتناسب مع ما كنت أطمح إليه خلال إنجاز هذا العمل، وتخصيص الوقت المناسب لإنهائه بشكل جيد، وصعوبة التوفيق بين العمل وكتابة المذكرة.

ثانياً: التفاوت الجغرافي في توثيق الحياة الثقافية داخل المرجع، جعل من الصعب تحقيق توازن موضوعي في عرض المعطيات بين مختلف مناطق البلاد، إذ تركزت المعلومات حول مدن معينة مثل: الجزائر، تلمسان وقسنطينة، في حين لم تحظى المناطق الأخرى بنفس التوثيق.

ثالثاً: قلة الدراسات لهذا موضوع تساعد على فهمه وإستيعابه أكثر.

رابعاً: التفاوت الزمني في ترتيب الأحداث أفقدي التركيز في كثير من الأحيان.

وفي الأخير، وبفضل الله تعالى ثم بعون المشرف الدكتور/عبد العزيز راجعي وتحفيزه وتشجيعه لي، إستطعت التغلب على الكثير من الصعوبات وإتمام هذه الدراسة، وباعتبار أن عملية البحث عملية مستمرة وتراكمية، حيث لا يمكن دراسة موضوع في بحث واحد، أتمنى أن يكون هذا الإنجاز العلمي لبنة وإضافة جديدة في مجال الحياة الثقافية في الجزائر خلال التواجد العثماني في مراحلته الأولى، وهذا ليس من باب الإدعاء بالكمال وتمام العمل فالكمال لله وحده وأي عمل لا بد أن يشوبه الخطأ ويعتريه النقصان، وحسبي في هذا أنني بذلت ما في وسعي كي أحقق بعض ما كنت أصبوا إليه وأسعى لأجله.

الفصل التمهيدي

نبذة عن حياة أبو القاسم سعد الله وكتاباتة

ا. المولد والنشأة والوفاة.

1. المولد والنشأة.

2. الوفاة

3. التكوين والدراسة

1.3 تعليمه في الجزائر.

2.3 تعليمه في تونس.

3.3 تعليمه في مصر.

4.3 تعليمه في أمريكا.

اا. النشاط العلمي والإنتاج الفكري.

1. النشاط العلمي.

1.1 تدريسه في أمريكا.

2.1 تدريسه في الجزائر.

3.1 تدريسه في جامعة الأردن.

2. الإنتاج الفكري (مؤلفاته).

1.2. الترجمة.

2.2. التحقيق.

3.2. في التاريخ.

4.2. أعلام ودراسات.

5.2. إبداعات وتأملات.

6.2. بحوث.

ااا. التعريف بالكتاب.

1. تقديم الكتاب.

2. محتوى الكتاب.

3. قيمة الكتاب.

تمهيد:

عرفت الجزائر ميلاد العديد من العلماء والكتاب والمؤرخين والأعلام والمبدعين في مختلف المجالات منهم من كان له دور إصلاحي تعليمي، ومنهم من ساهم في الحفاظ على تاريخ الجزائر من خلال كتاباتهم، ومن بين هؤلاء نذكر الشيخ "أبو القاسم سعد الله" رحمة الله عليه الملقب بشيخ المؤرخين الجزائريين، الذي حري بنا تتبع مساره الحياتي ونشأته ومتابعة أهم المحطات التي ساهمت في صياغة فكره وطموحاته، وأنتجت لنا زخما هائلا من الآثار الفكرية.

1. المولد والنشأة والوفاة:

1. المولد والنشأة:

كان "أبو القاسم سعد الله" يدرك أنه من الصعب على المرء أن يقدم نفسه بنفسه، والتحدث بصيغة الأنا لأن النفس ترغب في المدح وتنسى الأشياء الأخرى، فلذلك في كثير من الأحيان يفضل أن يقدمه الغير بناءً على ما شاهدوه أو عرفوه عنه، أو بناءً على ما وجدوه في كتبه ومؤلفاته¹.

ذكر المؤرخ رحمة الله عليه أنه ولد في البدوع²، الموجودة في مدينة قمار³ بوادي سوف⁴، في صيف شديد الحرارة عام ترميم الجامع الكبير و مدرسته بقمار سنة (1930م أو 1931م)⁵، ويقول حوالي لأنه أنذاك لم يكن يعرف تاريخ مولده بالضبط.

1 - أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 177.
 2 - البدوع: هي ضاحية بمدينة قمار تبعد عنها حوالي 4 كلم وكلمة البدوع من أصلها العربي "البدع" أو الابتداع وهو إنشاء الشيء من لا شيء، أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، ص44.
 3 - قمار: تقع المدينة غرب ولاية واد سوف، تبعد عنها 15 كلم، أبو القاسم الله، المرجع نفسه، ص 44.
 4 - واد سوف: اسم مركب من كلمتين واد وسوف وهو إقليم يقع جنوب شرقي الجزائر، وهو جزء من العرق الشرقي الكبير. أنظر: عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف (1918 - 1947م) وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005 - 2006م، ص 14.
 5 - مصطفى عبيد: "النشاط الثوري لأبو القاسم الله"، مجلة العصور الجديدة، ع13، جامعة وهران الجزائر، أبريل 2014م، ص228.

فالإدارة الإستعمارية الفرنسية لم تسجل المواليد في سجلات الحالة المدنية، ولم يكن هناك ما يعرف "بالنقمة" أو "النكوى" لذلك فقد قدر عمره تقديراً.

ولد في عائلة كثيرة العدد والناس يدعونهم "بأولاد مسعودة"، فاسمه "بالقاسم" كما هو في أوراقه الرسمية ومتعارف عليه في العائلة وليس "أبو القاسم" الذي اشتهر به في الساحة العلمية، إذ يصحح ذلك قائلاً: «أنا إسمي بالقاسم، أو "بالقاسم" (إضافة نقطة لحرف القاف)، أما "أبو القاسم" فكنت أنا من استعملته في الأدبيات وأحياناً ظهر مع مؤلفاتي أو مقالاتي القديمة إسم القماري»¹.

فهو "بلقاسم بن أحمد بن علي بن محمد بن سعد بن مبارك بن علي بن حيدر".....، أما لقبه (سعد الله) فهومن مستحدثات العهد الفرنسي، وذلك لأن الفرنسيين فرضوا على الجزائريين تغيير الحالة المدنية فأختار عمه "عبد الله" الذي كان هو أكبر إخوته هذا اللقب على أساس أنه لقب مركب من (سعد) هو إسم جده الثالث، مضافاً إلى لفظ الجلالة (الله) وكان ذلك سنة 1934م وهو التاريخ الذي وصلت فيه عملية التلقيب إلى منطقة واد سوف²، و"أبو القاسم" لا يعتبر هذه المنطقة المنحدر منها منطقة حارة رغم أنها تتجاوز الأربعين درجة، بل يعتبرها مكاناً للراحة من عناء المدن وشقاء الزحام فهي مهبط جدوده وموطن أبائه³.

نشأ في عائلة تدعى بأولاد "علي مسعودة"، فهو ينتسب إلى عرشين كبيرين من جهة الأب يسمى بعرش أولاد "عبد القادر" ومن جهة الأم يسمى بعرش "أولاد بوعافية"، فأمه

1 - مراد وزناجي: حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله في الفكر واللغة والثقافة، ط1، منشورات الخبر، الجزائر، 2008م، ص 68.

2 - أبو القاسم سعد الله: حياتي، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ص ص 15-16.

3 - أبو القاسم سعد الله: "في الجدل الثقافي"، ط02، دار الغرب الإسلامي، لبنان-بيروت، (د.ت)، ص35. أنظر كذلك: أبو القاسم سعد الله مسار قلم، ج5، دار المعرفة، الجزائر، 2013م، ص ص 155-156.

تدعى "عبيدية هالي" والده "أحمد" عرفت عائلته باسم "أولاد علي مسعودة"، إلى ظهور الحالة المدنية على يد الإدارة الفرنسية، حيث أطلق عليهم لقب "سعد الله"¹.

كان "أبو القاسم سعدالله" يعيش في وسط عائلة فقيرة تمتهن الزراعة، وأهله من أوائل الفلاحين الذين عمرو قرية البدوع بغراسة النخيل².

عاش في أسرة كبيرة وسط إخوته من جهة الأب وهم: البشير، محمد، الطاهر، الصادق، خيرة، أما أخوته من الأشقاء هم علي وإبراهيم، عمر، أبوبكر، مباركة، وكان هو بكر والدته³.

أما عن أسرته الصغيرة فبعد عودته من رحلته العلمية بالولايات المتحدة الأمريكية، استقر بالجزائر بالعاصمة وتزوج من السيدة "حفصة بن عمر بن سالم"، من أسرة محافظة من ولاية المسيلة وكانت طالبة عنده بقسم التاريخ (جامعة الجزائر)، حيث تقدم لخطبتها في سن الأربعين رفقة رفيقه: "عبد الله ركيبي"⁴ و"محمد مهري" وتزوج يوم 24 جويلية 1969م، وفي سيرته تحدث عن دعم زوجته له أكثر من موضع من خلال تفهمها لطبيعة عمله، ثم بإعانتته بشتى الوسائل وإبداء الرأي أحيانا فيما يكتب وذكرها قائلا: «... ثم كانت شريكة حياتي أم أحمد فقد فهمت طبيعة عملي وطموحي وحدود حركاتي، فساعدتني بما تعلم وبما تملك، أولا بتوفير شروط العمل رغم صعوبات المحيط الذي عشنا فيه، وثانيا بإعانتتي بشتى الوسائل وإبداء الرأي أحيانا فيما أكتب فهي صاحبة رأي حصيف، وكان تفرغي لأبحاثي وكثرة أسفاري يحرمانها من بعض حقوقها ومع ذلك

1 - مريم خالدي: «السيرة والمسيرة للدكتور أبو القاسم سعد الله»، المجلة الخلدونية، مج9، ع1، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، جويلية 2016م، ص 248.

2 - أبو القاسم سعدالله: أفكار جامعة، المرجع السابق، ص177. أنظر كذلك: مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص277.

3 - أبو القاسم سعد الله: مسار القلم، ج5، المرجع السابق، ص- ص 9-10. أنظر كذلك: مريم خالدي: أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018م، ص17.

4 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، ج03، المرجع نفسه، ص ص184-185.

كانت تقبل بكل رضا وطيب خاطر وتشجعتني على مواجهة الصعاب في سبيل هدفي النبيل...»¹.

ويذكر كذلك حين واسته عندما ضاعت محفظته التي تحتوى مسودة من مؤلفاته وهي التي تحملت معه الغربة وشطف العيش والحرمان²، وقد أجاد حين وصفها قال: «... الجمال والثقافة الجزائرية والصحراوية والعربية ثم التاريخ...»³.

رزق "سعد الله" بابنه الوحيد بتاريخ 12 فيفري 1974م بالعاصمة، وقد أسماه "أحمد" على إسم والده، لقد حرص على تحفيظه القرآن الكريم في سن مبكرة وتعليمه، تحصل على شهادة التعليم الابتدائي سنة 1985م وشهادة البكالوريا سنة 1995م وبعدها سافر إلى أمريكا في عام 1997م، حيث درس بمعهد "أوقسبورغ" تخصص إدارة أعمال وفي ماي 1999م، حصل على شهادة الليسانس⁴.

2. الوفاة:

توفي "أبو القاسم سعد الله" مساء يوم السبت 11 صفر 1435هـ الموافق لـ 14 ديسمبر 2013م، عن عمر يناهز 83 سنة بالمستشفى العسكري بعين النعجة بالجزائر العاصمة بعد صراع مع المرض، كان يعاني من التهاب الكبد الفيروسي⁵. وقد رفض "أبو القاسم سعد الله" نقله إلى الخارج للعلاج وفضل البقاء في الجزائر، كان قبل أن يشتد به المرض رفض التنازل عن صيام شهر رمضان رغم التحذيرات الطبية، حيث صام إلى غاية 26 منه، إلى أن أصابته وعكة صحية، ودخل المستشفى وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة⁶.

1 - أبو القاسم سعد الله: حوارات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2005م، ص 222.

2 - البشري حمادي: "جيل الثورة سلم الراية لمن يستحقها"، مجلة الحقائق، ع 28-29، الجزائر، 25 ماي 2007م، ص7.

3 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المرجع السابق، ج3، ص 185.

4 - المرجع نفسه: ج6، ص 447.

5 - نجيب بن خيرة: أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، عالم المعرفة، الجزائر، 2014م، ص 368.

6 - مريم خالدي: أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، المرجع السابق، ص17.

نزل خبر وفاته على قرية قمار مسقط رأسه كالصاعقة، وخيم حزن عميق لدى سكان ولاية الوادي كلها، وبموته فقدت الجزائر مشعلا ينير تاريخها وسقط ركن ركين في تاريخ الجزائر وأعلم شخص بثقافتها، وأكثر من كتب عنها وعاش حياته كلها في خدمة الجزائر وتاريخها وثقافتها¹.

وقد قررت عائلته نقل جثمانه إلى مسقط رأسه (قمار) لدفنه، في نفس المقبرة التي دفن فيها والده عملا بوصيته، حيث جاء على لسان نجله "أحمد" قوله: « وليس سرا بأن المرحوم قد أوصى بأن يدفن إلى جانب والديه بمقبرة قمار... » وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على سعة تواضعه، فهو قامة علمية قل نظيرها².

3. التكوين والدراسة:

1.3 تعليمه في الجزائر:

عند بلوغه سن الخامسة من العمر، دخل جامع البدوع وهي أول محطة تعليمية له كباقي أقرانه كي يحفظ القرآن الكريم³، حيث قال "الوزناجي": « دخل الفتى بلقاسم الجامع القبلي في البدوع وهو تقليد قديم عند أهل قمار يقتضي بأن يدخل الولد الجامع حتى يحفظ شيئا من القرآن قبل أن يحتاجه أهله في الحياة العملية حتى يستقيم لسانه ويشرب حب القرآن في قلبه»⁴، حفظ كتاب الله عام 1944م بدون أحكام على يد عدة مشايخ أمثال "أبو القاسم ابن برية و الشيخ الزبيري"، فقام والده بتكريمه بهذه المناسبة.

1 - عبد الرزاق قسوم: "موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية"، جريدة الخبر، ع 7284، الجزائر، 15 ديسمبر 2013 م، ص 21.

2 - نجيب بن خيرة: المرجع السابق، ص 32.

3 - أبو القاسم سعد الله: افكار جامحة، المرجع السابق، ص 177.

4 - مراد وزناجي: المرجع السابق، ص 28.

بعد ذلك كرر حفظه ثلاث مرات ترسيخاً وتقليدًا للسابقين، صلى بالناس التراويح عام 1944-1946م¹، سافر "أبو القاسم سعد الله" إلى العديد من البلدان، من أجل التعلم فمن أهم المحطات التي سنذكرها هي كالتالي:

2.3 تعليمه في تونس:

كان لوالدته الفضل الكبير في تشجيعه على حفظ القرآن والإلتحاق بجامع الزيتونة إسوة بخاله "الحفناوي هالي"²، والذي تخرج من جامع الزيتونة عام 1934م³، إستعد للذهاب إلى الزيتونة سنة 1946م إلا أن مصاريف السفر لم تكن متوفرة، وفي سنة 1947م التحق بجامع الزيتونة بتونس ومكث هناك سبعة سنوات، حصل من خلالها على شهادة الأهلية سنة 1951م والتحصيل سنة 1954م⁴، حيث كان هذا الجامع من أقدم دور العلم والتعبد في تونس، وإفريقيا والعالم الإسلامي منذ تأسيسه، فهو منارة أضاعت بنورها سماء المغرب العربي ويحتل المرتبة الثانية بعد مصر، وقد إرتحل إليه المسلمون من الأقطار العربية والإفريقية لينهلوا منة منابع فيضه لشتى العلوم وأصول الدين⁵.

قضى "أبو القاسم سعد الله" السنة الأولى بمدرسة صاحب الطابع بلحفناوي، أما السنوات الستة الأخرى فقد قضاها بجامع القصر، كان هذا الجامع بمثابة منزله فالدراسة في تونس كانت تأخذ طابع ديني وتاريخي وأدبي، حيث أن المواد العلمية والقضايا المعاصرة لم تكن تحظى بمكانة مثل المواد الدينية والأدبية والتاريخية⁶، ففي هذه الفترة

1 - نجيب بن خيرة: أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية- الجزائر، 2014م، ص359.

2 - أبو القاسم سعد الله: حوارات، المرجع السابق، ص 221.

3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962م، ج9، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص448.

4 - أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المرجع السابق، ص177. أنظر كذلك: مراد وزناجي، المرجع السابق، ص31.

5 - خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م الروابط الحضارية بين القطرين وأثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري"، ج1، ط02، قسم التاريخ الجامعة الإفريقية أدرار، دار كردادة، الجزائر، 2013م، ص881.

6 - أبو القاسم سعد الله: "منطلقات فكرية"، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان 2005م، ص44.

التي قضاها "أبو القاسم سعد الله" في تونس، كانت هذه الأخيرة تعيش أحداث عميقة، تتمثل في إضرابات طلاب جامع الزيتونة ومطالبهم بالتغيير الجذري في نظام التعليم، ورغم أن هذه المظاهرات ذات طابع إصلاحية إلا أنها كانت تحمل بعداً سياسياً، حيث كانت هذه الأحداث على حد قوله الأثر في بلورة أفكاره، والتي يمكن أن نلخصها في ثلاث اتجاهات هي: الاتجاه الأول وهو التربية الدينية والأخلاقية التي تلقاها في جامع الزيتونة، أما الاتجاه الثاني يتمثل في التربية الوطنية التي اكتسبها من خلال مشاركته في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين، وكذلك في اشتراكه مع الطلبة الجزائريين في تمثيل رواية خليفة عادل في عدة مدن بالجزائر، أما الاتجاه الثالث يتمثل في التربية الأدبية التي تحصل عليها بفضل قراءاته لإنتاج الشرق العربي¹.

بعد نجاحه وتخرجه من جامع الزيتونة وحصوله على شهادة التحصيل في العلوم التي تؤهله لدخول الجامعة أصبح شغله الشاغل الالتحاق بالمشرق العربي لمواصلة دراسته ولكن فقدان الوسائل المادية حال دون ذلك في حينه لذلك تقدم من تونس بطلب منحة من جمعية العلماء التي كانت قد فتحت مجالاً لما أسمته "البعثات إلى المشرق"² بإشراف من "الشيخ الإبراهيمي"³ الذي تولى تسهيل مهمة الحصول على المنح إلى بعض الدول العربية والإسلامية لصالح الطلبة الجزائريين، ليدرسوا ثم يعودوا الجزائر لكن لسوء الحظ لم يقبل طلبه المتمثل في الحصول على منحة تؤهله للالتحاق بالجامعة ضمن هذه البعثات لكونه لم يكن طالباً في معهد ابن باديس، فعاد إلى الجزائر ووفر قدرًا من المال يخوله السفر إلى مصر، وعمل مدرساً في العديد من المدارس⁴، ومن بين الشيوخ الذين

1 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، ج05، المرجع السابق، ص334.

2 - مراد وزناجي: المرجع السابق، ص41

3 - محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م): رئيس جمعية العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، واحد من رجال الإصلاح والكتاب البالغاء في الأدب والتاريخ. للمزيد أنظر: عادل نويهض:

معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض، لبنان، 1980م، ص ص 13-14.

4 - مراد وزناجي: مرجع سابق، ص 41.

تتلذذ على يديهم بالزيتونة نذكر منهم "الشيخ الأصرم" الذي خاطبه مرة قائلاً: « أني فخور بك يا سعد». وكذلك كل من الشيخ "مصطفى المؤدب" و"الصادق بسيس"، و"مختار الوزير" وغيرهم¹.

3.3 تعليمه في مصر:

التحق بدار العلوم بجامعة القاهرة سنة 1955م، والذي تحصل على منحة من الجامعة العربية، حيث كان لدراسته في القاهرة اثر كبير ويظهر ذلك من خلال قوله:«... وفي القاهرة تبلورت في نفسي عاطفتان أولها الوطنية السياسية فالجزائر لم تعد في نظري هي الأسرة والقرية والحدود الجغرافية ونحو ذلك ولكن أصبحت تعني عندي كل أهل القطر الجزائري، بقطع النظر عن اتجاهاتهم وأحزابهم...، أما العاطفة الثانية التي تبلورت في نفسي خلال وجودي بالقاهرة فهي القومية العربية فالوطن العربي لم يعد في ذهني ذلك الشريط التاريخي من الغزوات...»².

وأول ما نزل ضيفا عند الشيخ "البشير الإبراهيمي"، ولكن ضيافته أصبحت شبه إقامة دائمة، واعترف "سعد الله" بأنه كان كضيف ثقيل وكان ينام في الصالون ويتناول الفول مع "الشيخ الإبراهيمي"³.

تحصل على شهادة في الصحافة واللغة الفرنسية، عن طريق المدارس الحرة، أما في الجامعة كان يدرس الإنجليزية والفارسية، وفي عام 1959م نال من الجامعة شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وفي سنة 1960م نجح في السنة الأولى ماجيستير وكتب دراسته عن الشاعر "محمد العيد آل خليفة" بينما كان يستعد لمناقشة أطروحته، تحصل على منحة من الوزارة الجزائرية إلى أمريكا فغادر القاهرة إلى تونس،

1 - مصطفى عبيد: المرجع السابق، ص41.

2 - أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية، المرجع السابق، ص 48.

3- سعدي بزيان: "في رحاب الفكر والتاريخ - رحلة فكرية وأدبية في حياة شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله"، مجلة البصائر، ع 437، الجزائر، 29 مارس -04 أبريل 2009م، ص18.

لإتمام إجراءات السفر فترك رسالته عند "الشيخ الإبراهيمي" وطلب منه كتابتها وطباعتها، فطبعتها لأنها كانت مخطوطة بيد "أبو القاسم سعد الله" في دار المعارف في كتاب (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري)¹.

ومن بين الأساتذة الذين درس على يدهم في كلية دار العلوم في مصر نذكر: الأستاذ "تمام حسان" و"إبراهيم أنيس" في مادة اللغة، والأستاذ "زاكي المهندس" و"حامد عبد القادر" في مادة التطبيقية والأستاذ "محمد قاسم" في الفلسفة، ولعل من بين الأساتذة الذين تركوا الأثر البالغ في نفسيته هو الأستاذ "عمر الدسوقي" لجديته وصرامته وقوة شخصيته وهومن بين الأساتذة اللذين يمتلكون الهيبة وأقواهم علماً².

4.3 تعليمه في أمريكا:

بعد حصوله على المنحة وصل أمريكا في 30 نوفمبر 1960م فواجهته العديد من الصعوبات، على رأسها اللغة والحياة الاجتماعية المختلفة على عكس التي كان يعيشها في قمار باعتباره أول بلد غربي يزوره، فكان هناك العديد من العوامل التي دفعتة إلى التحدي لمواجهة الصعوبات، خاصة الظروف التي تعيشها الجزائر في تلك الفترة فمُنحتة الجامعة مهلة ستة أشهر لتعلم اللغة، إلا أنه بعد ثلاثة أشهر ونصف فقط طلب منهم البدء في الدراسة النظامية بالجامعة، وفي ربيع 1961م سجلت في جامعة منيسوتا بقسم التاريخ وبدأ العمل تحت إشراف الدكتور "هارولد سيدوتش" (harolddeutsch) الذي كان رئيس قسم وأستاذ في التاريخ الأوربي الحديث، قضى في الجامعة حوالي خمسة سنوات تحصل أثنائها على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962م، وعلى شهادة الدكتوراه في نفس المواد سنة 1965م³، وكان من أشهر أساتذته في الولايات المتحدة الأمريكية "الأنسة هولبروك" التي لجأ إليها فيما يتعلق بدراسته قبل الجامعة وهي

1 - نجيب بن خيرة: المرجع السابق، ص364. وكذلك أنظر: مراد وزناجي: المرجع السابق، ص 92 - 93.

2 - مريم خالدي: أبو القاسم سعدالله حياته وأعماله، المرجع السابق، ص 35.

3 - المرجع نفسه، ص ص 44-45.

المشرفة على برنامجه، انظم "أبو القاسم سعد الله" إلى فرع اتحاد الطلبة المجاهدين الجزائريين ومنظمة الطلبة العرب بأمريكا وكندا وإلى جمعية الطلبة الإفريقيين بمنيسوتا التي ساهم في إنشائها ثم ترأسها، من خلال هذه المساهمات أوصل صدى الثورة وعرف بها حيث كان كل سنة يقوم بتوزيع مطبوعات تصله من مكتب جيش التحرير الوطني من نيويورك وجمع التبرعات للاجئين وعرض صور الكفاح المجيد¹.

ومن أهم أدواره الثورية في الولايات المتحدة الأمريكية هو مشاركته في الاحتفال العالمي المعروف بالأمريكان سنتر الذي يضم عدد من البلدان وحبه لوطنه ترجمه في إصراره على تمثيل بلده بالأنشودة الوطنية المعروفة لدى طلبة الزيتونة أيام التتلمذ (جزائرينا)، لأن جميع البلدان غنت أناشيدها الوطنية، ورغم محاولات حذفه من البرنامج إلا أنه أصر على الاشتراك².

كما شارك أيضا في ندوة حول الجزائر في كلية "سان كاترين" بتاريخ 28 مارس 1961م³، وكان من الحاضرين والمناقشين في الندوة التي نشطها نخبة من مثقفي أمريكا بعنوان (أمريكا وراء البحار)⁴. وأثناء إقامته بأمريكا كذلك اتصل بمكتب الجزائر⁵ بنيويورك، لإرسال مجموعة من الصور تمثل اللاجئين الجزائريين، وكفاح الثوار الأحرار بهدف إطلاع الأمريكيين عليها ليعرفوا جرائم الاستعمار في الجزائر⁶، كما كان "سعد الله" ضيف شرف في حفلة أقامها الطلبة الأفارقة بمناسبة (إفريقيا)، وألقى محاضرة عن (القومية الإفريقية) وقد لاقى ترحيبا حارًا بعد انتهائه⁷.

1 - أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية، المرجع السابق ص 51.

2 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المرجع السابق، ص 16.

3 - المرجع نفسه، ص 31.

4 - نفسه، ص 20.

5 - مكتب الجزائر: وهو مكتب جبهة التحرير الوطني يرأسه عبد القادر شندرلي ورؤوف بوجقجي، والصور عددها

20 صورة. أنظر: أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، المرجع نفسه، ص 20.

6 - نفسه، ص 19.

7 - أبو القاسم سعد الله: منطلقات فكرية، مرجع سابق، ص 43.

إن المتتبع لمسيرة "سعد الله" عبر رحلاته التعليمية يلاحظ ان هذا الرجل لم يكن هدفه تحصيل العلم فحسب، بل تعداه إلى النضال من أجل إسماع صوت ثورته خارج وطنه لكسب مؤيدين ومتعاطفين معها، وهذا ما يدل على تكوينه المبني على قاعدة أساسها الوطنية والعروبة والإسلام، هذه المبادئ التي كانت تجري في دمه ومتأصلة في روحه¹.

II. النشاط العلمي والإنتاج الفكري:

1. النشاط العلمي:

1.1. تدريسه في أمريكا:

بعد تحصل "سعد الله" على شهادة الدكتوراه في عام 1965م²، تعاقد مع جامعة أوكلير بولاية ويسكس للتدريس بها في مادة تاريخ الحضارة الغربية، هذا كان في العام الأول وفي العام الثاني درس مادة تاريخ الشرق الأدنى وتاريخ إفريقيا الحديث، وقد منحت له شهادة شكر نظير جهوده من قبل رئيس الجامعة وعميد قسم التاريخ، ثم في 1977م درس في جامعة مينسوتا ثم في جامعة متشيغان في 1978م، ثم حصل على منحة فولبرايت في 1993م للمرة الثانية (الأولى كانت في 1977م) لمدة ستة أشهر للبحث في التاريخ الثقافي، ثم دعت الحاجة إلى البقاء لثلاثة سنوات للبحث والتدريس بجامعة مينسوتا في 1994م.

2.1. تدريسه في الجزائر:

عاد إلى الجزائر في أكتوبر 1967م، للتدريس في جامعتها الوحيدة آنذاك جامعة الجزائر، في مقياس أوربا المعاصرة، ومنهجية التاريخ، وتاريخ الجزائر المعاصر، والشرق الأقصى، والجزائر العثمانية والحركة الوطنية والعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، في

1 - حفصية قطوش وآخرون: أبو القاسم سعد الله مؤرخًا (1930-2013م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة (2014/2015م)، ص 25.

2 - أبو القاسم سعد الله: مسار قلم، ج3، المرجع السابق، ص 32.

الفترة الحديثة والحركات التحررية في آسيا والمغرب العربي الحديث¹، وإضافة إلى نشاط التدريس كانت يحرر المقالات وتوليه لمهام إدارية، حيث أنتخب نائبا لعميد كلية الآداب، ثم رئيس لقسم التاريخ، وعضو في لجان إصلاح التعليم والتعريب واعتمد في طريقة تدريسه على المناقشة العلمية والتحاوّر لتبادل الأفكار²، تميز رحمة الله عليه بالتواضع مع طلبته رغم ما كان يملكه من معلومات³.

3.1. تدريسه بجامعة الأردن:

قدم "سعد الله" طلبا بعد عودته من جامعة منيوستا إلى جامعات الدول العربية، فقبلته جامعة آل البيت في الأردن، وقد قدمت له دعوة من قبل معهد الدراسات العليا التابعة للجامعة العليا بمصر في 1970م، لإلقاء محاضرات تاريخ الجزائر الحديث، كما عمل أستاذا زائرا بجامعة عين شمس بمصر في 1976م لمدة خمسة عشر يوما، ثم أستاذا زائرا بجامعة دمشق في 1977م⁴، كما زار جامعة "عبد العزيز" لمدة خمسة عشر يوما، ودرس في جامعة آل البيت عدة تخصصات منها التطور الثقافي للعالم الإسلامي الحديث ومادة الحركات التحررية في العالم الإسلامي الحديث⁵، حارب "سعد الله" طرق التدريس التقليدية التي تقوم على الإملاء دون فهم واستعاب، قضى في جامعة آل البيت مدة ستة سنوات⁶.

2. الإنتاج الفكري (مؤلفاته):

تميز "أبو القاسم سعد الله" بكتابه الغزيرة، إذ يحفل سجله بعدة مؤلفات في شتى مجالات الأدب والفكر والتاريخ فسنحاول تسليط الضوء على مؤلفاته:

- 1 - مريم خالدي: أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، المرجع السابق، ص 137.
- 2 - نجيب بن خيرة: المرجع السابق، ص 80 - 83.
- 3 - نفسه، ص 82.
- 4 - حفصية قطوش وآخرون: المرجع السابق، ص 32.
- 5 - أبو القاسم سعد الله: مسار القلم، ج6، المرجع السابق، ص 241.
- 6 - المرجع نفسه، ج6، ص 365.

1.2. الترجمة:

يعتبر "أبو القاسم سعد الله" إلى جانب كونه مؤرخا وأديبا وشاعرا، مترجما بامتياز فلقد قام بترجمة عدة كتب تاريخية عن اللغة الإنجليزية، على رأسها (كتاب حياة الأمير عبد القادر) لمؤلفه "شارل هنري تشرشل"، طبع هذا الكتاب سنة 1967م وقد قام "سعد الله" بترجمته سنة 1982م¹ وكتاب (شعوب وقوميات) سنة 1985م، تضمن مجموعة من أبحاث مترجمة عن الإنجليزية تناول فيها صراع الشرق والمغرب في القديم والحديث، وكذا صراع الإيديولوجيات المعاصرة، وكتاب (الجزائر وأوربا) من تأليف "جون باتيست وولف" حيث تطرق فيه "سعد الله" إلى العلاقات الأوربية الجزائرية والوضع العام للجزائر آنذاك، والأحداث الهامة في تاريخ الجزائر العثمانية، وكان "جون باتيست وولف" من أقطاب جامعة منيسوتا، ودرس التاريخ الفرنسي الحديث وسبق "لسعد الله" التعرف عليه وعرض عليه فكرة ترجمة الكتاب إلى العربية، فرحب بالفكرة مع العلم أنه كان منشغلا في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي، ترجم هذا في مدينة الجزائر في 13 جانفي 1985م، حيث يحتوي على 495 صفحة²، وكتاب (مع الأمير عبد القادر) لمؤلفه "بير بروجير" وهو عبارة عن تقرير إستخباري لما شاهده المؤلف أثناء رحلته مع وفد فرنسي لمقابلة "الأمير عبد القادر" في البويرة (1837 - 1838م).

2.2. التحقيق:

أولى "أبو القاسم سعد الله" اهتماما كبيرا بمخطوطات علماء الجزائر، إما دارسا أو محققا أو معلقا عليها، فأسفرت جهوده عن تحقيق مخطوط (تاريخ العدواني) لمؤلفه "محمد بن عمر العدواني" الصادر عن دار الغرب الإسلامي ببلبنان سنة 1996م، وهو يندرج ضمن التاريخ المحلي فهو يؤرخ للقبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر

1 - شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1997م، ص 26.

2 - جون باتيست وولف: الجزائر وأوربا (1500 - 1830 م)، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005م، ص ص 5-9.

والجنوب الغربي من تونس، وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب وصراعها ضد الحكام الحفصيين والعثمانيين... الخ¹، ومخطوط (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) من تأليف الأمير "مصطفى بن براهيم باشا"، والكتاب عبارة عن رواية أدبية تاريخية تروي مغامرات عاطفية جرت بين ابن الملك و"زهرة الأنس" بنت التاجر في 1982م².

ومخطوط رسالة (الغريب إلى الحبيب) لمؤلفه "أحمد بن أبي عصيدة البجائي" صدر عن دار الغرب الإسلامي سنة 2000م، والكتاب عبارة عن مراسلة بعث بها من الحجاز إلى صديقه "أبي فيصل المشدالي" بمصر³، ومخطوط (مختارات من الشعر العربي) جمعها المفتي "أحمد بن عمارة" صدر عن دار الغرب في سنة 1991م، وهو عبارة عن مجموعة من الأشعار اختارها المفتي "أحمد بن عمارة" من أدياء عصره والعصر السابق وتضمنت قصائد لشعراء جزائريين في القرن 17م والقرن 18م⁴، وكذلك مخطوط (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية) من تأليف "عبد الكريم الفكون" صدر عن دار الغرب الإسلامي، يحتوي الكتاب معلومات هامة عن الإقليم القسنطيني، وهو يعالج مشكل الإصلاح السلفي والثورة على التصوف الخرافي ويدخل في النقد الاجتماعي والديني من بابه الواسع⁵، ومخطوط (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل) لمؤلفه "عبد الرزاق بن محمد" المعروف "بابن حمادوش" أصدرته المكتبة

-
- 1 - محمد بن محمد بن عمر العدواني: تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2005م، ص ص 17-25.
 - 2 - مصطفى بن إبراهيم باشا: حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تح: أبو القاسم سعد الله، ط2، بيروت - لبنان، 2005م، ص ص 5-9.
 - 3 - أحمد أبو عصيدة البجائي: رسالة الغريب إلى الحبيب، تح: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2005م، ص ص 5-8.
 - 4 - أحمد بن عمارة: مختارات مجهولة من الشعر العربي، تق وتع: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005م، ص ص 1-8.
 - 5 - أبو القاسم سعد الله: قضايا شانكة، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2005م، ص 102.

الوطنية سنة 1982م والكتاب هو عبارة عن رحلة احتوت مصادر مهمة للتعرف عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للجزائر والمغرب في القرن 18م، وقد تحمل "أبو القاسم" جهودا شاقة وتعبا كبيرا في تحقيق وإخراج النص للحياة، وهنا يقول: « لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة - رحلة بن حمادوش - قبل الإقدام عليه لما صدقته أولما اقدمت عليه أصلا، وعلى كل حال فقد أصبحت لا أغبط المحققين للنصوص القديمة تحقيقا علميا، لأنهم بدون شك يعانون الكثير ويربحون القليل، وكل جزاءهم فيما يبدو هو رضى النفس والوفاء لصاحب النص وراحة الأجيال»¹، وأيضا مخطوط (أعيان من المشاركة والمغاربة) لمؤلفه "عبد الحميد بيك" صدر عن دار عالم المعرفة سنة 2004م، والمخطوط عبارة عن معجم أعلام أو مجموعة تراجم الخاص بأعيان القرن 13م².

3.2. في التاريخ:

إهتم "أبو القاسم سعد الله" بالتاريخ وله العديد من المؤلفات القيمة التي قام بتأليفها في هذا المجال الكتب التالية:

- تاريخ الجزائر الثقافي:

يحتوي على عشرة أجزاء وله العديد من الطبقات، حيث تم جمعها في موسوعة الأعمال الكاملة تحت عنوان تاريخ الجزائر الثقافي، وقد عرفت صدق كبير في الأوساط المثقفة محليا ودوليا.

الجزء الأول: يحتوي على مقدمة حول المصادر، تنبيهات، فقد قسم إلى ستة فصول وتحدثت عن تراث القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي والعديد من المواضيع، من

1 - عبد الرزاق حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري، تق وتع: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 19.

2 - عائشة خالدي ومبروكة بن علي: أبو القاسم سعد الله ودوره في كتابة التاريخ الوطني (1966-2013م)، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2018 - 2019م، ص 15.

بينها التيارات والمؤثرات، وبعدها المؤسسات، ثم يليها التعليم ورجالته وفئة العلماء، وأما فصله الأخير فقد خصصه للحديث عن المرابطين والطرق الصوفية، يحتوي هذا الجزء على 525 صفحة¹.

الجزء الثاني: من 1500 - 1830م خصصه للعهد العثماني يحتوي على ستة فصول تحدث فيها عن مختلف العلوم كالشرعية وعلم الكلام، وتطرق أيضا إلى التصوف والمنطق... وبعدها خصص فصله الخامس للتاريخ والتراجم والرحلات، ثم تحدث في الفصل الأخير عن الفنون يحتوي هذا الجزء على 445 صفحة².

الجزء الثالث: من 1830 - 1954م فيه ثلاث فصول تحدث من خلالها عن التعليم في المدارس القرآنية والمساجد ثم الزوايا والمدارس الحرة، وفي الأخير عن التعليم الفرنسي المزدوج يحتوي هذا الجزء على 440 صفحة³.

الجزء الرابع: من 1830 - 1954م تطرق من خلاله إلى الطرق الصوفية، وبعدها تحدث عن السلك القضائي⁴.

الجزء الخامس: عالج فصوله الأربعة المعالم الإسلامية، ومؤسسة الأوقاف، والمنشآت والمراكز الثقافية بالإضافة إلى ما ترتب عن هجرة الجزائريين إلى الأقطار المجاورة⁵.

الجزء السادس: يتكون من ثلاثة فصول تحدث فيها عن قضايا الإستشراق، والهيئات العلمية، وكذا مشروع التنصير، وظهور النخب وتيارات المذاهب⁶.

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500 - 1830، ج1 دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت- لبنان، 1998م، ص ص 520-523.

2 - المرجع نفسه، ج2، ص ص 440-443.

3 - نفسه، ج3، ص ص 436-438.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4، ص ص 190-193.

5 - المرجع نفسه، ج5، ص ص 521-524.

6 - نفسه، ج6، ص ص 458-462.

الجزء السابع: فيه أربعة فصول عن مختلف أصناف العلوم الدينية، وأنواع المعارف الاجتماعية إضافة إلى التاريخ والتراجم والرحلات¹.

الجزء الثامن: تطرق في فصوله الثلاثة إلى اللغة والنثر الأدبي، والشعر فيه 473 صفحة².

الجزء التاسع: من 1954-1962م فيه إحدى عشر فصل خاص بالثورة الجزائرية، وعدد صفحاته 376 صفحة³.

الجزء العاشر: وهو آخر جزء خصصه للفهارس العامة مع ملحق غني بالصور واللوحات المعبرة⁴.

- الحركة الوطنية الجزائرية:

يعد أول دراسة أكاديمية متكاملة له كان قد أعدها للحصول على الدكتوراه في جامعة منيسوتا الأمريكية، ويتألف من ثلاث أجزاء أو مجلدات وهي:

- المجلد الأول: يحتوي على قسمين: القسم الأول فيه مقدمة وأربعة فصول خصص فصله الأول للحديث عن معاول الغزو (1830-1837م)، أما فصله الثاني تناول جبهات المقاومة (1830-1837م) والفصل الثالث جاء تحت عنوان أبطال وزعانف ثم عنون فصله الموالي تجوع الحرة (1848-1860م) ثم ألحق بالجزء مجموعة من الفهارس المتعلقة بالأسماء والأعلام، الأماكن، البلدان، المحتويات فيه 428 صفحة. أما القسم الثاني يتحدث عن المرحلة الممتدة من 1860 إلى غاية 1900م يضم أربعة فصول تحدث فيهم عن نشاط الجزائريين، وقدرتهم عن تحدي الاستعمار الفرنسي⁵.

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص ص 475-478.

2 - المرجع نفسه، ج8، ص ص 468-470.

3 - نفسه، ج9، ص ص 370-374.

4 - نفسه، ج10، ص ص 680-683.

5- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مج1، ط4 دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2005م، ص ص 438-441.

- **المجلد الثاني:** هو أيضا يحتوي على قسمين: القسم الأول مكون من سبعة فصول ففي فصله الأول تطرق إلى أصول الحركة الوطنية (1830-1900م)، والفصل الثاني بعنوان الزخم الكبير (1900-1914م) وبعدها تحدث عن النهضة من 1900 إلى غاية 1914م، واكتشاف الجزائر من جديد، كتلة المحافظين، جماعة النخبة... إلخ، وفي الأخير عنون فصله بفكرة من المساواة إلى الانفصال وخاتمة، وملاحق تضمنت رسائل وبيانات وقوانين فيه 443 صفحة.

أما القسم الثاني تحدث فيه عن مشاريع فرنسا في الجزائر، وعن حالة التوتر الاجتماعي والأعمال التي قام بها جماعة النخبة وجمعية العلماء و نجم شمال إفريقيا (حزب الشعب)، المؤتمر الإسلامي ثم تحدث عن الجزائر في فترة الحرب العالمية الثانية وفي الختام تحدث عن حادثة 8 ماي 1945 م، وأرفق هذه المعلومات بملاحق بمجموعة من المصادر كالوثائق، الكتب، الجرائد، فهرس وأعلام... إلخ.

أما المجلد الثالث الصادر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت لبنان سنة 1992م، جاء الكتاب محتواه 312 صفحة إجمالاً قسم إلى تسعة فصول مدعمة بمجموعة من الملاحق وقائمة للمصادر والفهارس، التي تضمنت الجرائد والإعلام، الأماكن والبلدان والشعوب والقبائل، ثم فهرس المحتوى وفي الأخير قائمة لكتب المؤلف، كما تطرق في هذا المجلد لبداية الإحتلال، ثم تحدث عن تحول الحكم الإداري العثماني إلى الفرنسي... إلخ¹.

إضافة إلى هذا كان "أبو القاسم سعد الله" مجموعة (أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر) تم جمعها في مجلد خاص بالأعمال الكاملة تحتوى خمسة أجزاء صدرت في سنوات مختلفة، فكان في جزئها الأول قد تحدث فيه عن منهج الفرنسيين في كتابة (تاريخ الجزائر) و(الحركة الوطنية الجزائرية) و(حياة الأمير عبد القادر) وتناول فيه رحلات

1 - أبو القاسم سعد الله: "الحركة الوطنية"، مج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م، ص ص 308-310.

بعض الجزائريين، والعلاقات الدبلوماسية بين أمريكا والمغرب العربي¹، بالإضافة للعديد من القضايا مثل (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا) وغيرها²، أما الجزء الثاني تحدث فيه عن القضية الثقافية بين الجزائر وفرنسا، أيضا عن عريضة الأمير "خالد" للرئيس "ويلسن" وأدرج فيه دراسة اجتماعية ومجموعة من الوثائق³.

والجزء الثالث احتوى على موضوعات ذات طابع أكاديمي في أغلبها هي موضوعات تستند إلى المخطوطات والوثائق، فمن بين أهم المواضيع التي تطرق إليها "البشير الإبراهيمي" في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية، و وثائق عن الجزائر في جامعة مينسوتا (أمريكا)، تحدث أيضا عن العديد من رسائل علماء الجزائر في القرن الماضي وختم هذا الجزء بفهرس أعلام وأماكن، ففي الجزء الرابع ضم مجموعة من الأبحاث والمقالات حول تاريخ الجزائر، حيث يعتبر "أبو القاسم" هذا الجزء من أغنى الأجزاء لأنه تضمن مواضيع بحثية وشخصية وأخرى مترجمة، فقد تحدث عن الأمير "شكيب أرسلان" والقضية الجزائرية أثناء الاحتلال، ودور جمعية العلماء في الاهتمام بقضايا المغرب العربي...، بالإضافة إلى تواريخ وبعض القضايا المتعلقة بتاريخ الجزائر⁴، وفي الجزء الخامس أشار فيه التدهور القبلي في واد سوف، وكان ختامها قائمة للفهارس والبلدان والأماكن ثم قائمة المحتويات.

4.2. أعلام ودراسات:

كان "سعد الله" سبق في تراجم وأعلام الجزائر قديما وحديثا وإبراز جهودهم والتعريف بأثارهم، حيث خص عددا منهم بمؤلفات مستقلة، أحاط في كل كتاب منها بالجوانب المختلفة لحياة المترجم له، وعرف بثرائه الفكري، وأبرز كل ما يتعلق به من

1 - جاك لحسن: "أهمية مؤلف- أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع2، الجزائر، ديسمبر 2016م، ص 53.

2 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 5-8.

3 - المرجع نفسه، ج2، ص7

4 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج4، ص 7-10.

قريب أو بعيد، وهذه الكتب هي¹ كتاب (شاعر الجزائر) "محمد العيد آل خليفة"²، وهو في الحقيقة كان مشروع مذكرة ماجستير لم تناقش، وعند نشره تولى تصديره الإمام "محمد البشير الإبراهيمي"، الذي أشاد بصاحبه إلى حد الاقتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور³، وفي هذا الكتاب فصل فيه "سعد الله" حياة "محمد العيد"، وأبرز العوامل التي كونت شخصيته، وأورد آراءه وتجاربه وشعره وتطوره، من حيث الأغراض والمنزلة، ضف إلى ذلك قام بدراسة شخصية "محمد الشاذلي القسنطيني"⁴، حيث ركز على رسائله وشعره، وعالج في هذا الكتاب سيرة المؤلف وعصره ورحلته إلى أوروبا، ومراسلاته وبعض مواقفه وحتى عن علاقته "بالأمير عبد القادر"، فقام أيضا بدراسة شخصية رائد التجديد الإسلامي أوائل القرن 19م المفتي الجزائري "محمود بن العنابي"⁵، حيث تطرق إلى حياته وذكر أهم نصوصه وآثار الشيخ "محمد محمود بن محمد بن حسين الجزائري" (المعروف بن العنابي) وكتابه (السعي المحمود في نظام الجنود) وغيره من المؤلفات القيمة⁶، والطبيب الرحالة "بن حمادوش"⁷ (حياته وآثاره)، وشيخ الإسلام الداعية السلفية "عبد الكريم الفكون" من حيث نشأته ومكانته وتأثيره على تلاميذه، ومراسلاته وموقفه من قضايا عصره ومؤلفاته⁸.

1 - نجيب بن خيرة: المرجع السابق، ص 343.

2 - أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار المعارف، مصر، 1976م، ص 7.

3 - بلقاسم عياشي: قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين منذ 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006-2007م، ص 40.

4 - أبو القاسم سعد الله: محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974م، ص 5-9.

5 - أبو القاسم سعد الله: المفتي الجزائري محمود بن العنابي، الشركة الوطنية للكتاب، 1977م.

6 - نجيب بن خيرة: المرجع السابق، ص 344.

7 - أنظر أبو القاسم الله: الطبيب الرحالة بن حمادوش الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

8 - سلمى بوعزيز ونور الهدى عوابدي: الثورة الجزائرية من خلال كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي)، (1954 - 1962م)، ج 9، لأبو القاسم سعد الله، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2020 - 2021م، ص 16.

إن تعريف "سعد الله" بعلماء الجزائر وإظهار جهودهم وفكرهم ومؤلفاتهم بمثابة الدعوة إلى معرفة الذات لإدراك الواقع وتجاوز الحصار الفكري والثقافي القائم والتطلع إلى خوض غمار المساهمة الحضارية على غرار بقية الشعوب وأن لا تقتصر معرفتنا على أعلام الشرق والغرب ونسيان كنوزنا المحلية وكأننا نتجاهل ذاتنا¹، و(مسار قلم - يوميات) الذي صدر في ستة أجزاء، بالإضافة إلى الجزء السابع الذي صدر في 2015م عن دار عالم المعرفة، والكتاب يضم يوميات "أبو القاسم سعد الله" التي بدأ بكتابتها في القاهرة في فيفري 1956م، إن هذه اليوميات لا تكشف عن أسراره وإنما تعبر عن حياة طالب جزائري أيام الثورة الجزائرية التحريرية، كان يعيش الغربة في عاصمة عربية كانت مخبرا لصناعة القرارات العربية، وأسلوب كتابة هذه اليوميات بسيط جدا لا تكلف فيه فكأنه قصة قصيرة تراكيبها تعبر عن حكاية شفهوية، ولا وجود لانطباع شخص في أغلب ما يروى فيها ولا استنتاج إنما هو السرد ورواية الحديث أو الخبر².

5.2. إبداعات وتأملات:

كانت له العديد من الأعمال منها:

- الزمن الأخضر، فهو ديوان يدخل ضمن أعماله الأدبية.
- والسعفة الخضراء هي عبارة عن قصص³.
- قضايا شائكة⁴، وهو جملة أحاديث أدلى بها الأستاذ "سعد الله" في مناسبات عدة إلى جرائد وطنية.
- قضايا الأدب والفكر⁵.

1 - أوبكر الصديق حميدي: "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، مجلة عصور الجديدة، ع13، دار القدس، الجزائر، 2014م، ص 254.

2 - حفصة قطوش وآخرون: المرجع السابق، ص 46.

3 - سلمى بوعزيز ونور الهدى عوايدي: المرجع السابق، ص 16.

4 - أبو القاسم سعد الله: قضايا شائكة، المرجع السابق، ص 16.

5 - المرجع نفسه، ص 06.

- أفكار جامعة¹، الذي يحتوي على أبحاث ومقالات في أغراض ثقافية وأدبية وفكرية شتى².

- حوارات³، الذي يحتوي على تسعة وعشرين حوارا أجراها "سعد الله" مع صحفيين ومراسلين من جرائد ومجلات جزائرية وأخرى عربية⁴.

- خارج السرب⁵، الذي إحتوت مقالات عن اللغة العربية والتعريب وأخرى عن الحوار والتاريخ والعولمة، وثالثة عن بعض الأشخاص الذين لعبوا دورا في حياته⁶.

6.2. بحوث:

- أول بيان فرنسي إلى الجزائريين، في مجلة المعرفة 17 مارس 1960م.
- العلاقات الأمريكية (1776-1830م) في مجلة المعرفة 15 سبتمبر/أكتوبر 1964م ونوفمبر 1964م.

- العلاقات الدبلوماسية بين أمريكا ودول المغرب العربي (1776-1816م) في مجلة المجاهد الثقافي 1969م، ترجمها السيد كاوش إلى الفرنسية ونشرتها الجمهورية (وهران) 17 يناير 1970م.

- المستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية بالقاهرة 64 مايو 1989م.
- صدى دعوة خيرالدين باشا التونسي في الجزائر، ورقة للندوة "خير الدين باشا" التونسي، تونس خريف 1990م.

- المترجمون الجزائريون وإفريقيا بحث نشر في الثقافة 1996م.
- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003م⁷.

1 - أبو القاسم سعد الله: أفكار جامعة، المرجع السابق، ص5.

2 - المرجع نفسه، ص 05.

3 - أبو القاسم سعد الله: حوارات، المرجع السابق، ص 07.

4 - المرجع نفسه، ص 07.

5 - أبو القاسم سعد الله: خارج السرب، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص05-08.

6 - المرجع نفسه، ص07.

7 - عائشة خالدي ومبروكة بن علي: المرجع السابق، ص 16.

ولقد تميزت الكتابة التاريخية عند سعد الله بالجدية والصرامة العلمية، وإتباع أساليب دقيقة في مجال البحث التاريخي، وهذا ما أشاد به الكثير بخصاله العلمية، وكتابه التاريخية عن الأوضاع السياسية والثقافية التي عرفت الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، وقد إتبع سعد الله في كتاباته المنهج العلمي البعيد عن الذاتية للوصول إلى بعض الحقائق وإزالة الغبار عن كثير من الموضوعات التاريخية.

وهذا نظرا لواقعية الأفكار التي يناقشها، وهذا ناتج عن التمحيص والنقد مما جعل طرحه العلمي يتميز بالموضوعية وعدم السكوت عن الحقائق التاريخية التي توصل إليها¹.

III. التعريف بالكتاب (تاريخ الجزائر الثقافي):

يعد من بين أهم مؤلفاته ويصفه الكثير من المؤرخين بموسوعة تاريخ الجزائر الثقافي.

1. تقديم الكتاب:

إن موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي من أهم الموسوعات التي لقيت رواجاً كبيراً في الأوساط المثقفة، فهي من الأعمال التي أظهرت إسم "أبو القاسم سعد الله" في ساحة التأليف، له عشرة أجزاء حيث يقول الأستاذ "رضوان شافوا": «من مؤلفات المؤرخ أبو القاسم التي أعطته لقب شيخ المؤرخين الجزائريين موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي»²، وقد صدرت أجزاء الكتاب العشرة بطبعات مختلفة فكانت أكثر من خمسة طبعات أولها في دار الغرب الإسلامي 1998م، وأخرها بالجزائر 2015م، وغطى الكتاب أكثر من خمسة قرون من الزمن وحوى أكثر من ستة آلاف صفحة، فحديثنا هنا حول الجزء الأول

1 - محمد بليل: الكتابة التاريخية عن شخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله، العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية، مجلة عصور، ع13، الجزائر، أبريل 2014م، ص 286.

2- عائشة خالدي ومبروكة بن علي: المرجع السابق، ص35.

الخاص بتاريخ الجزائر الثقافي خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي وآخر قرون العصر الوسيط، والإحاطة بظروفه ومظاهره السياسية والثقافية.

أما الجزء الثاني فتضمن تاريخ الجزائر الثقافي خلال فترة (1500-1830م) المتعلقة بالعهد العثماني، والتي تعرض فيه إلى واقع العلوم الشرعية وعلم الكلام والتصوف والمنطق وعلوم اللغة والشعر، هذا الجزء الذي إعتمدت عليه في عملي هذا، فهذا الأخير احتوى على رصيد علمي غزير ويمكن تلخيص أهم ما جاء في الجزئين الأول والثاني:

أ/الجزء الأول:

يتضمن كتاب تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م) إهداء، شكر وعرقان، مقدمة الطبعة الأولى، مقدمة الطبعة الثانية، حول المصادر وتببيها، ويحتوي على ستة فصول وفهرس للمحتويات عدد صفحاته 531 صفحة.

المقدمة أعطى فيها صورة توضيحية عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية عبر العصور، وتتبع التطور الثقافي للجزائر خلال القرن التاسع عشر هجري الخامس عشر ميلادي والمؤثرات والمؤسسات الثقافية.

- **الفصل الأول:** بعنوان تراث القرن التاسع هجري، حيث يعتبر من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين و العلماء و المؤلفات، كما تطرق أيضا إلى المؤثرات في الحياة الثقافية بين العلماء و الأمراء، حيث عرفت الدولة الزيانية فترة إزدهار كبير وتطور محسوس في المجال العلمي والأدبي والفني (من الصفحة 37 - 110)¹.

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج01، ص ص 37 - 110.

- **الفصل الثاني:** كان بعنوان التيارات والمؤثرات جاء فيها العلاقة بين الجزائريين والعثمانيين والحياة الدينية، فقد تختلف الآراء حول سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر من (صفحة 111 - 224)¹.

- **الفصل الثالث:** كان بعنوان المؤسسات الثقافية، والذي عرض فيها كل من الأوقاف التي تعتبر من أهم المظاهر الإسلامية والمساجد والزوايا والمدارس من (صفحة 225 - 310)².

- **الفصل الرابع:** بعنوان التعليم ورجاله، تناول فيه سياسة التعليم حيث كان أساس التعليم هو الدين، وتناول أيضا وسائل التعليم (المعلمين، أجور المعلمين، التلاميذ، تعليم المرأة، ومناهج في التعليم الابتدائي و التعليم الثانوي، وأهم العلوم المتداولة من (الصفحة 385 - 457)³.

- **الفصل الخامس:** بعنوان فئة العلماء، حيث نجد الكثير من الباحثين اهتموا بفئة العلماء في الدولة العثمانية، لما كان لهم من القيمة في الدين والسياسة وشؤون الحياة من إفتاء وقضاء وتعليم وإمامة وخطابة من (الصفحة 457 - 519)⁴.

ب/الجزء الثاني:

يتضمن كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني ما يلي: تنبيهات وستة فصول وفهرس للمحتويات عدد صفحاته 453 صفحة جاء فيه:

- **الفصل الأول:** بعنوان العلوم الشرعية الذي عرض فيه التفسير والحديث والإثبات والفقهاء والإنتاج الفقهي المالكي، وانتشار المذهب الحنفي والآثار الفقهية والفتاوى والفرائض من (صفحة 7-88)⁵.

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص 111 - 224.

2 - المرجع نفسه، ص ص 225 - 310.

3 - نفسه، ص ص 385 - 457.

4 - نفسه، ج01، ص ص 457 - 519.

5 - نفسه، ج02، ص ص 7 - 88.

- **الفصل الثاني:** بعنوان علم الكلام، التصوف، المنطق وأهم العلماء في العهد العثماني من (الصفحة 89 - 155).

- **الفصل الثالث:** كان بعنوان علوم اللغة، النثر الفني والأدبي، والشروح الأدبية والقصص والخطب والرسائل وعقود الزواج والتعازي من (الصفحة 155 - 237).

- **الفصل الرابع:** بعنوان الشعر تناول هذا الفصل حالة الشعر في العهد العثماني، وفي أغراضه وأنواعه منها الشعر الديني والشعر السياسي والشعر الاجتماعي والشعر الذاتي (الوصف، الحنين، الشكوى) والشعر الشعبي من (الصفحة 238 - 318)¹.

- **الفصل الخامس:** بعنوان التراجم والرحلات، تناول في هذا الفصل مفهوم التاريخ عند الجزائريين وإنتاجهم فيه وفي التراجم والسيرة والتواريخ المحلية والرحلات في كامل العهد العثماني، من (الصفحة 319 - 398).

- **الفصل السادس:** وهو الأخير بعنوان العلوم والفنون، حيث نجد ان العهد العثماني في الجزائر يعتبر فقيرا من هذه الناحية، فقد عرفنا عناية العلماء بالعلوم الشرعية والآداب والتواريخ المحلية والتصوف ولكن عنايتهم بتدوين الطب والحساب والفلك والرسم والعمارة والموسيقى قليلة من (الصفحة 399 - 453) وفي الأخير فهرس للمحتويات².

2. محتوى الكتاب:

أولى "أبو القاسم سعد الله" اهتماما كبيرا بكتابة التاريخ، فهو يعتبر الكتابة التاريخية متجددة حيث يقول: «...كل جيل بالقدرة العقلية التي توصل إليها والوثائق المتوفرة لديه والمستجدات الحضارية التي تحيط به...»³، وقد سمحت العديد من العوامل لتغلب الجانب الثقافي في منتوجاته الفكرية ولعل أهمها:

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص ص 155-237.

2 - المرجع نفسه، ج2، ص ص 399-453.

3 - مراد وزناجي: مفهوم التاريخ عند أبو القاسم الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2005م، ص 45.

عندما كان "سعد الله" أيام دراسته في جامعة أمريكا يتصفح إحدى المجلات الأجنبية وجد مقال عن تاريخ العرب في جزيرة سردينيا، وحينها كان جاهلا لدور العرب في تلك الجزيرة هذا السبب كان كافيا لمحاولة إستكشاف تاريخ أجداده ودورهم الحضاري فانتقل بذلك من دراسة الأدب إلى التخصص في التاريخ¹.

إن المسائل الثقافية في العهد العثماني لم تحظى بدراسة وافرة، وهذا راجع إلى الاهتمام بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى أن الحكم العثماني في الجزائر يتميز بالطابع العسكري².

وفي حوار أجراه "بوعلام رمضاني" وهو صحفي في جريدة الحوار اللبنانية، حول أسباب اهتمام "أبو القاسم سعد الله" بالجانب الثقافي، فيجيب على أن هذا راجع إلى البيئة والتعليم.

وكان يعتبر أن التاريخ أفضل ما يشبع نهمه العلمي وتطلعاته³ ويقول: «... إن أكبر حاجز يحول دون عملية التدوين هو الشخصية الثقافية الوطنية، ومن ثم كانت حربهم الشرسة ضد اللغة العربية وضد الإسلام كحضارة وضد إتصال الجزائر بالثقافة العربية المتطورة بالمشرق العربي بدعوى أن هذه الثقافة أجنبية على الجزائر وهناك عامل شخصي يتمثل في أنني بدأت حياتي مهتما بالأدب وعندما تخصصت في التاريخ ظلت جانبيتي نحو التاريخ الثقافي أكثر من السياسي...»، ومن جهة أخرى لاحظت أثناء دراستي الجامعية بالمشرق العربي عدم اهتمام الدارسين بمساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، فدفعتني ذلك إلى البحث والتنقيب إلى أن توصلت إلى ما في الكتاب⁴.

1 - أبو القاسم سعد الله: حوارات، المرجع السابق، ص 63 - 64.

2 - سلمى بوعزيز ونور الهدى عوايدي: المرجع السابق، ص 21.

3- أبو القاسم سعد الله، حوارات، مرجع سابق، ص 157.

4- أبو القاسم سعد الله: قضايا شائكة، المرجع السابق ص 17.

حيث نجد أن "سعد الله" صور لنا في هذا الكتاب من خلال الجزئين الأول والثاني تراث القرن 15م والتيارات والمؤثرات والمؤسسات الثقافية والتعليم ورجاله، وفئة العلماء المرابطين والطرق قبيل التواجد العثماني وأثناء التواجد العثماني (1500-1830م)، أما الجزء الثاني خصص أيضا للفترة العثمانية فتحدث عن العلوم الشرعية، علم الكلام، التصوف، المنطق وعلوم اللغة والنثر الفني والشعر، التراجم، الرحلات والعلوم والفنون. ففي مجال البحث التاريخي عن التاريخ الثقافي إتبع أسلوب البحث عن المصادر الغنية بالتراث والأدب والفكر، وتحقيق مخطوطات العلماء الجزائريين في الفترات الحديثة، من أجل إثبات الحقيقة التاريخية، بأن الجزائر أنجبت نخبة مثقفة في شتى العلوم، ورداً على أكاذيب أنصار المدرسة الإستعمارية التي كانت تحاول إخفاء نخبة مثقفة في مختلف العلوم، وعلى أكاذيب المدرسة الإستعمارية التي كانت تحاول إخفاء إنجازات النخب الجزائرية وعلمائها وكتابها¹.

أي أن تعامله مع نصوص هذه الوثائق والمخطوطات، هو في الواقع مختلف جوهريا عن الكيفية التي يتعامل بها مع الوثائق وأرشيف المؤسسات الرسمية، التي تخص الحرب والسلم والسياسة، كون الأول ينتمي إلى صنف كتب المناقب السلطانية والصوفية ومناقب العلماء وهيئات الإثبات والفهارس، وأصحابها بوظائف دينية وروحانية واجتماعية وأخرى سياسية، جعلتهم عاجزين عن كبح عواطفهم وانتماءاتهم الدينية، كما لم يكن باستطاعتهم الحد من خيالهم وتصوراتهم إزاء قضايا عصرهم، بمعنى آخر أنهم لم يخضعوا لأي رقابة بما في ذلك الرقابة الذاتية، ففرض ذلك عليه طريقة ومنهجاً توخي من خلاله طبيعة مهمته، والتي لم تكن في جمع المادة وتصنيفها في الكتاب دون تمحيص أو ترتيب، بل وكذلك تفكيك مادة هذا الإنتاج الثقافي والعلمي، وتحليل الظواهر وتعليلها

1 - محمد بليل: "الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"، قسم العلوم الإنسانية جامعة ابن خلدون، تيارت، مجلة الدراسات التاريخية، ع 04، الجزائر، أفريل 2014، ص 52.

ومناقشة آراء ومواقف المؤلفين أصحاب هذه الأصول وتصحيح الأخطاء الواردة في كتاباتهم بمقابلة النصوص بعضها ببعض¹.

وظف "أبو القاسم سعد الله" في كتابته (تاريخ الجزائر الثقافي) في العصر الوسيط العديد من المناهج، عكس بها علموية التاريخ الثقافي الذي كان ينشده، متخذاً من منهج التاريخانية قاعدة متينة لكل الأبنية المنهجية التي صاغ بها نظريته في الأدب والتاريخ، وكذا في إختيار أسلوب خطابه التاريخي الذي استطاع به أن يحافظ على مسافة الأمان، التي تفصل بين مكونات التاريخانية من تحقيق ونقد ومقارنة وموضوعية وبين نزاعاته الوطنية والعربية والإسلامية وميولاته الفكرية والإنسانية².

وليس ذلك وحسب بل اقترح على جيل الجزائر المعاصر أن يقرأ هذا التراث الثقافي متحلياً بثنائيات الجمع بين العلم والتراث وبعقل الضمير الوطني الحر المتشبع بحرية التعبير والتفكير والرأي³.

3. قيمة الكتاب:

إن لهذا الكتاب ميزة خاصة عن غيره من الكتب من ناحية أن "سعد الله" عمد فيه إلى العناية بالتراث القومي والوطني، ويعد من المشاريع المهمة التي اشتغل فيها "أبو القاسم سعد الله" بمبادرة فردية منه، فقد قدم عملاً ضخماً لا تقوم به عادة في الأمم المتقدمة سوى الهيئات العلمية والمؤسسات البحثية، التي تمتلك الوسائل المادية والبشرية الكفيلة بتحقيق أهداف علمية بهذا الحجم⁴.

1- الطاهر بونابي: منهج أبو القاسم سعد الله في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط القسم الأول: مستوى التاريخانية، جامعة المسيلة، (د-ت)، ص 337.

2 - المرجع نفسه، ص 325.

3 - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 325.

4 - حفصية قطوش وآخرون: المرجع السابق، ص 43.

فاهتم بالمخطوطات التي تتصل بحياة الجزائر الثقافية والمغرب العربي الماضية، وتحمل جهودا شاقة وتعبا كبيرا في تحقيق وإخراج النص إلى الحياة¹.

له الفضل الكبير من خلال إسهامه في إثراء المكتبة الجزائرية والإنتاج الثقافي في الجزائر، فقد أوضح العديد من المؤرخين الجزائريين في مجالات شتى كالأدب والعلوم الشرعية، والنثر والشعر ومختلف الفنون والتأليف، ونجد أن الموضوعية تتجلى في كتابه وفصوله وتقييمه للأحداث وتحليلها وتحقيقها، مما جعل أعماله تبرز إلى الساحة الوطنية والدولية، فمستواه العلمي والأكاديمي يظهر من خلال اعتماده مصادر متنوعة التي تخدم الموضوع².

ويذكر "سعد الله" أنه لما توجه إلى الدراسة التاريخية في أمريكا، كان اهتمامه بتاريخ القوميات وتاريخ الشعوب فوجد أن الحركات القومية التي ظهرت في القرن 19 م وبالخصوص في أوروبا الشرقية ووسط أوروبا، كانت تستند على قاعدة ثقافية لتعزيز الهوية...، والاهتمام بتاريخها من خلال التركيز على الثقافة والتراث في الماضي، وقد تأثر "سعد الله" بذلك وعمد إلى إظهار تراث تاريخ الجزائر الثقافي خلال العصور الوسطى³.

ومن هنا يتضح إهتمام "أبو القاسم سعد الله" بالتاريخ الثقافي للجزائر بدل السياسي لأنه يرى وجود الجزائر يرتبط أساسا بإسهامها الثقافي ومشاركتها في المعرفة الإنسانية في نطاق الأسرة العربية الإسلامية⁴.

1 - عبد الرزاق بن حمادوش: رحلة ابن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص 19.

2 - محمد بليل: الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية، المرجع السابق، ص ص 290 - 291.

3 - أبو القاسم سعد الله: حبر على ورق، المرجع السابق، ص 246.

4 - ناصر الدين سعيدوني: أبو القاسم سعد الله: كلمة وفاء، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 67.

إن عناية "أبو القاسم سعد الله" بالتراث العربي الإسلامي للجزائر راجع إلى تعرضه للإهمال من طرف المستعمر، فقد هدف بعمله هذا إلى تأكيد الرصيد الثقافي للجزائر وصلتها بالأمة العربية الإسلامية، وبعثه من أجل تأصيل مستقبل الجزائر، الذي قيل عنه أنه يقوم على التعددية اللغوية والثقافية، وبالتالي نفي الأصالة العربية الإسلامية عن الجزائر¹.

وانطلاقاً من ذلك نلاحظ أن هناك نزوعاً واضحاً وتوجهاً مسيطراً على إهتمام "سعد الله"، الذي يتمثل في تعلقه بالتراث الأصيل للأمة الجزائرية ومحاولة العيش في إطاره...، وهذا ما عبر عنه في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) ومقالاته ومحاضراته ومقابلاته²، ومن خلال قراءتنا المتفحصة للكتاب يتضح لنا أنه:

كان أسلوبه سهل وبسيط، مما جعل كتابه محط إقبال من طرف القراء لأنه إهتم بإبراز المادة التاريخية بعبارات قصيرة توضح المعنى والمقصود منها، كما لم يعتمد فقط إلى جمع المادة العلمية وتصنيفها في الكتاب دون إخضاعها للتمحيص أو الترتيب بل عمل إلى تفكيك الإنتاج الثقافي والعلمي وتحليل الظواهر وتعليلها ومناقشتها، من حيث الآراء والمواقف وأصولها وتصحيح الأخطاء الواردة في كتابات هؤلاء المؤلفين أصحاب الأصول ومقابلتها ببعضها البعض وهذه المنهجية تجعل المؤرخ في قمة التاريخانية³.

كان حريصاً على كتابة تاريخ الجزائر وليس إعادة كتابة التاريخ فقط دون فائدة فكان إهتمامه بكتابة التاريخ الثقافي للجزائر، لإعتبره هو الركيزة أما الجانب السياسي فهو حق ضروري، حيث قال: « يجب أن تكون قومياً وثقافياً لكي تطالب بالإستقلال والكينونة السياسية »⁴.

1 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 4.

2 - ناصر الدين سعيدوني: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 24.

3 - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 339.

4 - أبو القاسم سعد الله: حبر على ورق، المرجع السابق، ص 247.

تعتبر موسوعة الجزائر الثقافي حسب المؤرخ "ناصر الدين سعيدوني"، تعبيرا صادقا عن مواقف "سعد الله" وصورة أمينة لقناعته، إضافة إلى كونها تحديًا لواقع التأليف المثبط ومهمة البحث الصعبة في جزائر الاستقلال¹.

كان شديد التركيز على الجانب الثقافي من أجل الكشف عن عمل يبرز مساهمة الجزائر في الحضارة الإسلامية، وأيضا لتفادي النقص الفادح في المكتبة الجزائرية في هذا المجال، وعمل على التقيد بالأمانة العلمية في التوثيق بتثبيت المصدر وانتهاجه لمنهج التحليل والمقارنة بين الحياة الثقافية نهاية العهد الزياني القرن (15م)، وأثناء التواجد العثماني في الجزائر إلى غاية 1830م.

يعد كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول والثاني إسهاما وطنيا كبيرا في ميدان التأليف التاريخي، كون هذا الأخير تطرق في فحواه إلى المسائل الثقافية للجزائر خلال العهد العثماني، التي لم تتل حظًا أوفر من الدراسات على عكس إهتمام الباحثين والدارسين بالأحداث السياسية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فقد تناول الحياة الثقافية بشكل شامل ومععمق، ويظهر كيف كان للثقافة في عهد العثمانيين أثر كبير في تشكل الهوية الثقافية والحياة الأدبية والتعليمية والفنية في الجزائر.

يقول أيضا المؤرخ "ناصر الدين سعيدوني" عن تاريخ الجزائر الثقافي: «...بلغ فيها أوج عطائه، إن لم نقل قمة إسهامه هذا ما جعله تعبيرا صادقا لمواقفه وإهتماماته فلطالما تألم سعد الله للواقع المأساوي للثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والإنسانية عبر العصور، ففيها تتبع سعد الله مسيرة التطور الثقافي في الجزائر على طول الفترة الممتدة من 1500 إلى غاية 1962 م عمل خلالها على جمع الإنتاج الثقافي حتى لا يتلاشى ودعى من خلالها إلى تنشيط الساحة الثقافية وصيانة الذاكرة الجماعية

1 - ناصر الدين سعيدوني: أبو القاسم سعد الله - كلمة وفاء، المرجع السابق، ص 63.

للمجتمع الجزائري لصد الفراغ أمام إنتاج المدرسة الإستعمارية وردًا على ما كانت تبثه من إدعاءات طيلة فترة الإحتلال بأنه لم يكن لأهلها ماضي سياسي ولا ثقافي»¹.

إستطاع "أبو القاسم سعد الله" من خلال تناوله وعرضه للأحداث التي عالجها في موسوعته أن يجمع كم هائل من المعلومات والأفكار، وهذه المعارف والمواد لم تأتي بسهولة إذ رجع إلى مئات المصادر والمخطوطات والمراجع والوثائق والآثار والوسائل المادية، في المكتبات والمتاحف والخزانات والزوايا والأرشيف... وغيرها، داخل الجزائر وخارجها ليخرج في الأخير بعمل متكامل وأفكار متسلسلة مع إلتزامه بسلامة اللغة وسلاسة العرض والأسلوب، فهذه المادة بتنوعها وتعددتها قدمت خدمة جلية للتراث الجزائري المخطوط الذي أنتجه علماء الجزائر عبر العصور².

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص13.

2 - ناصر الدين سعيدوني: أبو القاسم سعد الله-كلمة وفاء، المرجع السابق، ص64.

خلاصة:

من خلال دراستي لهذا الفصل توصلت إلى مايلي:

- إن البيئة التي ولد وعاش فيها "أبو القاسم سعد الله" هي بيئة صحراوية تقليدية قاسية، لكن رغم هذا لم تثنه عن عزيمته وشغفه بالعلم، بل على العكس بثت فيه روح الصبر والعزيمة والإصرار وصقلت شخصيته، حيث عرف بالإتزان وركيزة العقل.
- خلال مساره التعليمي إلتحق بالعديد من المحطات التعليمية، التي كان لها الدور الكبير في تكوينه وتوجهه من الأدب إلى الدراسات التاريخية خصوصا الثقافية منها.
- كانت " لأبو القاسم سعد الله" على غرار الكثير من مؤرخي الجزائر ميلا إلى كتابة "التاريخ الثقافي"، قصد البحث عن الهوية الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية.
- إهتم "أبو القاسم سعد الله" بالموضوعات الثقافية والفكرية في دراسته لتاريخ الجزائر مقارنة بالموضوعات السياسية، فهو يعتبر التاريخ الثقافي هو الركيزة، فكان يفضل تاريخ الفكر والثقافة وهذا راجع لتكوينه الأدبي.
- فتأليف "أبو القاسم سعد الله" لموسوعة تاريخ الجزائر الثقافي، حاول من خلالها إبراز المساهمة الحضارية الإنسانية للجزائر عبر العصور بداية من العهد العثماني حتى إستقلال الجزائر والتي جمعها من مختلف رحلاته وإستغرق عقودا لتأليفها، فكانت مصدراً تاريخيا ومنطلقا للمؤرخين المهتمين بالتاريخ الثقافي.

الفصل الأول:

الحياة الثقافية قبل التواجد العثماني.

تمهيد.

أ. الوضع السياسي للجزائر أواخر القرن 15م.

ب. المؤسسات التعليمية (الثقافية) في الدولة الزيانية.

1. المساجد والكتاتيب والمعمرات.

2. المدارس والزوايا والمكتبات.

3. الوقف.

ج. أصناف العلوم في الدولة الزيانية وعلمائها.

1. العلوم النقلية والعقلية.

1.1 العلوم النقلية.

2.1 العلوم العقلية.

2. العلماء والأمرء.

3. الحواضر الثقافية.

د. التعليم ومناهجه

1. طرق التدريس.

2. مناهجه.

3. مراحل التعليم: يمكن إيجازها في ثلاث مراحل.

4. نظام التعليم.

هـ. المؤثرات الثقافية.

و. حركة التصوف نهاية العهد الزياني.

خلاصة.

تمهيد:

خصصنا هذا الفصل لدراسة التراث الثقافي خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، بإعتباره التركة التي ورثها العهد العثماني، فإنتاج القرن التاسع كان في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين¹، كان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر وهو الذي بدوره انتهى سنة (1246هـ / 1830م).

1. الوضع السياسي للجزائر أواخر القرن 15م:

تميز الوضع السياسي للجزائر بالاضطراب والتدهور ذلك أن الحدود السياسية لها لم تكن مضبوطة وثابتة، وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية، ولم تكن تعنى بأي حال (القطر الجزائري) المعروف الآن، فهذا المفهوم لكلمة (الجزائر) لم يصبح معروفا إلا منذ القرن 10هـ أي أثناء الحكم العثماني بل إن عبارة (المغرب الأوسط)²، التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية، لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى، المغرب الأقصى) كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم بلادالمغرب³.

وتثبت خريطة القرن التاسع هجري السياسية أن بلاد المغرب كانت تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية هي: المرينية والزيانية والحفصية، كانت الدولتين الحفصية⁴ بتونس والزيانية⁵

1 - الموحدون: أصلهم من المصامدة، وهم من أصحاب المهدي بن تومرت، الذي تولى أمر المغرب بعد المرابطين اللمتونيين. أنظر: أحمد بن علي القلقشندي: قلائد الجمال في التعريف بقبايل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ط2، 1982م، ص 169.

2 - المغرب الأوسط: يتوسط المغرب الأدنى والأقصى. أنظر: ابن خلدون: المقدمة، ط 1، دار القلم، بيروت- لبنان، 1984م، ص 64.

3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 40.

4 - المرجع نفسه، ص 41.

5 - الدولة الزيانية: ظهرت بالمغرب الأوسط بعد سقوط دولة الموحدين إذ إتخذت من تلمسان عاصمة لها، حيث كان تأسسها علي يد يغمراسن سنة (1235/1554م). أنظر: عبد العزيز قيبوج: الحياة الثقافية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، نيوز للدراسات الإنسانية، مج3، ع2، الجزائر، 2019م، ص 29.

بتلمسان هما الكيانين السياسيين الذين كانا يسيطران على تراب المغرب الأوسط شرقاً وغرباً في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ميلادي، وقد بلغت درجة كبيرة من الضعف في مختلف المجالات¹، أما وسط القطر الجزائري الحالي فقد كان منطقة عازلة بين الحفصيين والزيانيين، ومن ثمة كان منطقة صراع دائم بين القوتين، ولذلك ظهر فيه إمارات محلية صغيرة كانت تحتفظ بحيادها أحياناً ولكنها كانت في أغلب الأحيان تتبع الأقوى، بالإضافة إلى طموح ومنافسة المرينيين كذلك لهذين الأخيرين².

حيث شهد المغرب الإسلامي من قبيل دخول العثمانيين عصر ضعف سياسي تمثل: في سيطرة الإسبان على معظم الموانئ وتنازع الدويلات الثلاثة (بنو حفص، بنو عبد الواد وبنو مرين) فيما بينهم من جهة أخرى³، ويضاف إلى هذا التطاحن والتنازع الإقليمي تطاحن عائلي مرير وطويل وكانت تدور بين الأسرة الحاكمة حول الملك، وبذلك كثرت الفوضى وعمت اللصوصية وإرتخى حبل الأمن ويكشف ذلك (الفارسية) "لابن القنفذ" القسنطيني⁴، (ونوازل) "المازوني"⁵، و(معيار) "الونشريسي"⁶ وكلها معاصرة لهذه الأحداث وعن هذا الوضع المتدهور⁷.

1 - عبد الحميد بن زيان أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972م، ص 28.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص ص 40-41.

3 - أحمد البجائي: المصدر السابق، ص ص 21-22.

4 - ابن القنفذ: هو أحمد بن قنفذ هو من أجل العلماء الجزائر ولد (740-809هـ/1339-1604م)، نشأ في قسنطينة، من مؤلفاته الوفيات - الفارسية وغيرها. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج2، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص ص 196-197.

5 - أبوزكرياء بن يحيى المغيلي المازوني: (883هـ/1478م) هوفقيه مالكي وقاضي جزائري بارز ينتمي إلى عائلة علمية، شغل منصب قاضي تنس ومازونة من كتبه: "الدرر" المكونة في نوازل مازونة". أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 276.

6 - الونشريسي: هوأبوالعباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ) التلمساني ولد سنة 834هـ من أشهر مؤلفاته: المعيار المعرب والجامع المغرب. أنظر: عادل نويهض: المرجع نفسه، ص 433.

7 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 41.

وبالمقابل وفي الجهة الشمالية بعد سقوط إمارة غرناطة (1492م)، آخر معقل كان بحوزة المسلمين، نقل الإسبان الحملات الصليبية إلى قلب الدول **دول شمال إفريقيا**، فاحتلوا العديد من المدن الساحلية: "المرسى الكبير 1505 م" و"وهران 1509 م" و"بجاية 1510 م" وغيرها من المناطق، إلى أن حل "الإخوة بريروس"¹، في المنطقة وإستطاعا أن يحرراها من أيدي الإسبان².

على الرغم من أن القرن (15م) كان فترة إضطرابات سياسية وعدم إستقرار، إلا أنه يؤكد شيخ المؤرخين المرحوم "أبو القاسم سعد الله" في كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي)، إن الفترة من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهدها بأسماء المثقفين (العلماء) والمؤلفات، وكثير من الإنتاج القرن (15م) ظل موضع عناية من علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك، كان من العلماء القرن السادس عشر تلاميذ أوفياء لمن سبقوهم³.

II. المؤسسات التعليمية في الدولة الزيانية (الثقافية):

شهد المغرب الأوسط حركة ثقافية كبيرة في العهد الزياني خاصة في أيام السلم والأمن، وبرز خلالها نشاط علمي كثيف لعلمائه في شتى المجالات لاسيما العلمية منها، فأقبلوا على التأليف ونسخ الكتب⁴، ومما ساعد على إزدهار النشاط الثقافي تشجيع السلاطين لهذه العلوم والإقبال على العلماء والتقرب منهم⁵، ومما زاد في ازدهار الحركة

1 - الإخوة بريروس: نشأوا في مدينة ميدلي اليونانية من أب تركي يدعى يعقوب وأم أندلسية، وأنجب منها أربعة أبناء وهم: إسحاق، عروج، خير الدين، محمد إلياس، عمل الإخوة في التجارة البحرية... للمزيد أنظر بسام العسلي: خير الدين بريروس والجهاد البحري (1470-1547م)، دار النفائس، لبنان، 1986م، ص 27.

2 - عبد العزيز فيلالي: بحوث في تاريخ المغرب الأوسط، دار الهدى، الجزائر، 2014م، ص 79.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 39.

4- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية) ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م، ص ص 319،321،336.

5 - المرجع نفسه، ص ص 319،321،336.

العلمية، وجود بعض الأسر العلمية التي كانت تعنى بالعلم وتورثها الأبناء ثم الأحفاد¹، زد على ذلك هجرة العلماء إلى تلمسان².

كل هذه العوامل ساعدت على إنتشار الثقافة من خلال العديد من المؤسسات التعليمية، التي تعلم فيها الطلبة العلوم المختلفة النقلية والعقلية، ومن هذه المؤسسات المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس والمكتبات، فنشطت بها الحياة الثقافية وإشعاعها بسبب الدور الكبير الذي أداه سلاطينها، من خلال بناء هذه المؤسسات والعرض على جلب كبار العلماء والمدرسين للتدريس بها، كما ساهمت في نمو وإزدهار الثقافة التعليمية بالعالم الإسلامي.

1. المساجد والكتاتيب والمعمرات:

1.1. المساجد:

تعتبر المساجد منارة الإسلام وهي رابط أساسي بين المسلمين، ولقد لقيت اهتماماً ورعاية، بعد أن أوصى بها القرآن والسنة لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ لَا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾³.

فمن الناحية الشرعية المسجد كل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم «...جعلت لحد الأرض مسجدا...»، وفي هذا قال القاضي "عياض": «...لأن من كانوا

1 - محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2007م، ص218.

2 - عيسى بن الذيب وآخرون: سلسلة المشاريع الوطنية للبحث (الحواضر والمراكز في الجزائر في العصر الوسيط)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م، ص144.

3 - سورة التوبة: الآية 36 و37.

قبلنا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته...»¹.

أولاً/ تعريف المسجد:

- لغة: لفظ مأخوذ من الفعل سجد ومعناه اللغوي هو مكان الخضوع والتذلل لله، ولقد كان فعل السجود معهودا عند الأمم القديمة أمام عظمائها وعلمائها، وأقرت الشريعة الإسلامية هذا السجود ولكن جعلته لله وحده لا غير².

- اصطلاحاً: هو المكان المعد للصلاة، وهو كل مكان يتعبد فيه أي أن كل موضع من الأرض هو مسجد لقوله صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً» فالمسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم من جهة، ولتعلم كل ما من شأنه أن ينظم وييسر حياتهم³.

ثانياً/ الفرق بين المسجد والجامع:

الجامع اصطلاحاً أكبر حجماً من المسجد، ففيه تؤدي الصلوات الجامعة والجمعة والأعياد إضافة إلى الخمس، وقد يسمى المسجد الجامع، وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالمسجد الكبير أو المسجد الأعظم، ويذكر بعض الباحثين المساجد فقط ثم يفصلون كبيرها من صغيرها وماله من صومعة وما ليس له صومعة عالية وماله قبة أو نحوها⁴.

ثالثاً/ دور المساجد:

- 1 - محمد بن عبد الله الزركشي: اعلام المساجد بأحكام المساجد، تح: أبو الوفاء مصطفى المراغي، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1999م، ص ص 27-28.
- 2 - عفيف طيارة: روح الصلاة في الاسلام، ط8، دار العلم بالملايين، بيروت- لبنان، 1978م، ص218.
- 3 - المرجع نفسه، ص218.
- 4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص245، وأنظر كذلك بلحاج معروف: العمارة الإسلامية "مساجد ميزاب مصلياته الجنائزية"، دار قرطبة، ط1، 2007م، ص184.

لعبت المساجد في الجزائر دورا كبيرا في الثقافة والتعليم طوال تاريخها خاصة في العصر الحديث، تتمثل وظيفتها الأساسية في قيام المسلمين بأداء الصلوات فيها وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم، وتعليم الناس شؤون دينهم وعلاج مشاكلهم وحل قضاياهم اليومية¹.

فالمسجد هو مؤسسة تستقبل الطلبة والمصلين في حلقات دراسية داخله، أوفي بعض الغرف الملحقة ففيها تعقد حلقات البحث وتنظم فيه المناظرات العلمية والحوارات الفقهية، والمطارحات الأدبية واللغوية، ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، ويجمع فيه الآباء لتدبير زواج بناتهم وأبنائهم، وتمضى فيه العقود التجارية، وتؤخذ إليه الجنازة، قبل الدفن للصلاة عليها².

لقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، حيث إعتنى الجزائريون ببناء المسجد كإعتنائهم بالدين³، فلا تكاد أن تجد قرية أو حي في المدينة بدون مسجد، فقد كان المسجد ملتقى العبادة ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، فهو شاهد قوي على رقي الحضارة الإسلامية⁴، وبهذا كانت تقوم حوله الأسواق والكتاتيب والمسكن، وكان تشييد المساجد يقع على عاتق المجتمع، يساهم في بناءه الأغنياء والفقراء عن طريق التبرعات، فهناك من أنجزه الحكام والخلفاء والملوك والأمراء والولاة الذين كانوا يعتبرونه جزءا من واجبهم الديني، وآخر بناه الأثرياء، ونوع قام ببنائه الهيئات والجمعيات الخيرية، فقد عمل الزيانيين وفي مقدمتهم السلاطين على تشييد المؤسسات التربوية والتعليمية كالمساجد والكتاتيب والزوايا، كانت المساجد منتشرة في أنحاء بني عبد الواد، وقد ساعدت هذه

1- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص145.

2 - سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 84.

3 - المرجع نفسه، ص08.

4- محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م، ص240.

المؤسسة على تعليم مختلف العلوم العقلية والنقلية¹ ومن أبرز المساجد خلال العهد الزياني نذكر:

• **المسجد الجامع بأغادير:** على ما يبدو أن المسجد الجامع بأغادير، هو أقدم مسجد في المدينة يرجع تاريخ تأسيسه إلى ما قبل إستيلاء الأدارسة على مدينة تلمسان²، بقيادة "إدريس الأكبر" (سنة 174هـ / 790م)، الذي أعادوا بناءه ورسموه أكثر من مرة ففي عهد "يغمراسن" قام بترميمه وبناء مؤذنته³.

• **المسجد الأعظم بتاكرارت:** شيده هذا المسجد "يوسف بن تاشفين" أثناء بناءه لمدينة تاكرارت سنة (473هـ/1080م)، وقد غلبت عليه مسحة فنية أندلسية، حتى صار تحفة فيه مغربية رائعة، وأعاد ترميمه ابنه "علي بن يوسف" سنة (530هـ/1135م)، وقد كان للمسجد دورا عظيما، إذ أصبح يضاهي أكبر الجامعات في تلك الفترة كالزيتونة في تونس والقرويين بالمغرب، فأصبح معهد للتدريس لاسيما بعد الهجرة الأندلسية وأيضا بعد توافد العلماء وطلاب العلم إليه ويفضل هذا أصبحت تلمسان حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي⁴.

• **مسجد سيدي أبي الحسن التنسي:** قام ببنائه السلطان الزياني "أبوسعيد بن يغمراسن" سنة (696هـ/1296م)، حيث يقع هذا الأخير بالقرب من المسجد الأعظم،

1 - المنور مريوش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، " العملة، الأسعار والمداخيل"، ج1، دار القصبه للنشر، الجزائر، 1983م، ص 39.

2- تلمسان: مدينة تقع على بعد 600 كلم غرب العاصمة الجزائر، قريبة من الحدود المغربية، اتخذت عاصمة للدولة الزيانية. أنظر: سفيان صغيري: العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، 2012/2011م، ص20.

3- محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني عبد الواد ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان) تح: محمود آغا، موفم للنشر، الجزائر، (د - ت)، ص125. أنظر كذلك: هواري بكاي: العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم: التاريخ، تلمسان، 2008م، ص53.

4 - المرجع نفسه، ص44.

ويحمل اسم أحد مشاهير علماء تلمسان، وهو "أبو الحسن بن خلف التنسي" وشبهه إليه السلطان لأنه كان أفضل العلماء في عهده وأتقاهم وأورعهم، وأيضاً لأنه كان يلقي دروسه به، وهذا المسجد صغير الحجم بالنسبة لمساجد تلمسان الأخرى¹.

• **مسجد أولاد الإمام²**: الذي شيده "أبوحمو موسى الأول" (710هـ/1311م)³، الذي أضافه إلى المدرسة القديمة، وهي أول مدرسة شيّدت بتلمسان وكان ملحقا للمدرسة، وقد تم في هذا المسجد تحفيظ القرآن وتعليم الطلبة مختلف العلوم⁴.

• **جامع سيدي بومدين**: من أهم المساجد الحاضرة الزيانية يبعد عن مدينة تلمسان بكيلومتر، بني سنة (709هـ/1339م) في العباد⁵، ويوجد الجامع في وسط المجموعة المعمارية المتكاملة التي شيدها السلطان "أبو الحسن المريني"⁶، وتتكون هذه المجموعة من ضريح "سيدي أبي مدين"⁷، وقصر وحماما ومسجدا، إضافة إلى المدرسة الخلدونية وقد

1- هواري بكاي: المرجع السابق، ص44.

2- أولاد الإمام: "أبو زيد عبد الرحمن" و"أبو موسى عيسى" أبناء محمد بن عبد الله، أبو زيد هو أكبر أبناء الإمام، أصلهم من برشك من اعلام المغرب الأوسط، ابوهما إمام ببعض مساجد برشك، من مرجع لخضر عبدلي: تاريخ مملكة تلمسان عهد بني زيان (1236-1554)، دار الأوطان، تلمسان، 2011م، ص 166.

3- التنسي: المصدر السابق، ص142.

4- الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص198.

5- العباد: قرية عتيقة تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان وهي كبيرة الازدهار والسكان، بها دفن وللكبير ذوصيت شهير وبها مدرسة جميلة. أنظر: مبروك بن مسعود وآخرون: الدولة الزيانية على عهد أبو موسى الثاني (760-791هـ)، مذكرة ماستر في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020-2021م، ص17.

6 - أبو الحسن المريني: حكم ما بين (732-749هـ/1332-1351م)، قام بدور كبير في جهاد المماليك النصرانية بالأندلس، ثم قام بحركة كبيرة لإخضاع وتوحيد المغرب. أنظر: محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م، ص125.

7- أبي مدين شعيب (594هـ-1197م): هومدين شعيب الحسن الأنصاري، وهو عالم جليل، بني على ضريحه مدرسة تكريما له عرفت بمدرسة سيدي أبي مدين أمام المسجد الذي يحمل إسمه توفي ودفن بتلمسان. أنظر: ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق، ص 406.

اشترى "أبو الحسن" مجموعة من البساتين وما جاورها من الأراضي وتميز الجامع بمظهر أنيق، وكان له الوظيفة الدينية والإصلاحية والتعليمية¹.

• **مسجد سيدي الحلوي**²: يقع في مدينة تلمسان، خارج أسوارها المشرفة على المنطقة الصناعية الحالية للمدينة، وقد أقر بإنشائه السلطان المريني "أبو عنان" سنة (754هـ/1355م)³.

• **مسجد سيدي إبراهيم المصمودي**: يقع جامع سيدي إبراهيم وسط تلمسان حالياً، وهو يدخل ضمن مجمع ديني يدعى المدرسة اليعقوبية، فوفد إليه العالم "الشريف التلمساني"، فبنى له زاوية ومدرسة وجامعا سنة 763هـ/1362م، كان في قمة الجمال والتميق الفني⁴.

• **مسجد سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي**: بني على يد السلطان الزياني "أبو العباس أحمد" المشهور بالعاقل (834هـ/834هـ-1431-1462م) تكريما للشيخ "سيدي أبي الحسن" توفي (853هـ/1453م) ولم يبق من المسجد سوى مؤذنته⁵.

• **مسجد سيدي البناء**: من أبرز مساجد تلمسان، وجاء ذكر هذا في كتاب البستان والذي أشار أنه منسوب إلى الشاعر الأديب العالم "سيدي محمد البناء" توفي في القرن (8هـ/14م)، يقع في رحبة الزرع، وهذا المسجد لا يزال قائما حتى اليوم¹.

1- ليلي بن أباجي، المأذن في المغرب الجزائري دراسة فنية ومعمارية، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010م، ص ص 90-91.

2 - **سيدي الحلوي**: فقد كان قاضيا بإشبيلية قبل أن ينتقل إلى تلمسان، مهمته هذه هي أكبر دليل على درايته بعلم التشريع، وقد حسبه في بداية الأمر أهل تلمسان مجنونا، ولكن بعدما استقر بها وأصبح يلقي العلم عرفوا أنه عكس ذلك. ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ط1، تح: بونطانة الشرقية، الجزائر، (1321هـ/1903م)، ص ص 65-66.

3 - ليلي بن أباجي: المرجع السابق، ص 91.

4 - العربي القزيز: مدارس السلطان أبي الحسن علي، مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية وفنية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أويكر بلقايد، تلمسان، 2000/2001م، ص 48.

5 - الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 261.

• مسجد أبي عبد الله الشريف: أسس بعد سنة من وفاته (771هـ / 1370 م) إكراما لهذا الشيخ "أبي عبد الله الشريف"².

• مسجد سيدي زكري³: نسب إلى "محمد بن زكري"، تكريما له وتخليدا لجهوده العلمية باعتباره شيخا وأستاذا صالح وجال ودرس بمساجد تلمسان ومدارسها، حيث تتلمذ عليه جيل من العلماء والفقهاء والمحدثين في القرن (9هـ/15م)⁴، لم يجتمع في مثل حسن وضعه وجمال واعتدال صحن وإتساع رحاب هذا المسجد⁵.

لعبت المساجد أدوارًا مختلفة دينية واجتماعية في الدولة الزيانية، وساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والأدبية، حيث تركزت فيها معظم أنشطة الدولة، فكانت بمثابة المصدر الذي تفرعت منه مختلف المؤسسات والمستويات السياسية والحضارية، وذلك لتخفيف العبء عن كاهل المسجد، ظهرت مؤسسات مستقلة بذاتها مثل الكتاتيب⁶.

2.1. الكتاتيب:

أولا/ تعريفها ودورها:

أقل وحدة للتعليم الابتدائي هي الكتاب، أي جمع كتاب أوالمكتب كما يسمى أحيانا وكان يطلق عليه في العاصمة إسم (مسيد)، وهو دون شك محرف من تصغير كلمة مسجد، كان في الغالب عبارة عن حجرة أودكان، وهذا لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال

1- أبو عبد الله محمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص 275.

2 - يحي بوعزيز: المساجد العتيقة بالغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2004م، ص 151.

3 - سيدي زكري: هو أبو العباس أحمد بن أحمد زكري توفي (899هـ/1493م)، شيخ وفقه أصولي وبياني ومنطقي، إشتغل بالحياسة ثم توجه إلى التعليم كان بارعا، اشتغل بالتدريس بالجامع الكبير. أنظر: بن مريم، المصدر السابق، ص 38.

4 - علي شعوة: "المنشآت العمرانية للدولة الزيانية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية، مج1، ع 2، ديسمبر 2017، ص 47.

5 - أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي في نشر المذهب السني، دراسة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة طانطا، مصر، 1999م، ص ص 22- 23.

6 - الزركشي: المصدر السابق، ص 328.

وترتيبه، وقد نشأ متفردا أوفي شكل مجتمعات في البيوت المختلفة الأشكال¹ والأحجام، أومستقلة عن المسجد في كثير من الأحيان، فيكون في شكل دكاكين أومسطبات أومدرجات ذات هندسية خاصة، يكثر بها المعلمون لتدريس الأطفال بها²، ويرتكز منهاجها على تعليم الكتابة وإستظهار كتاب الله تعالى، وكانت منتشرة في جميع الأحياء وكثير منها كان يحمل اسم الحي، أما فيما يخص بناء هذه الكتاتيب فكان يساهم في بناءها غالبية فئات المجتمع وكانت تتميز بالبساطة³، وبعضها كان تابعا لبعض الزوايا، والتي تواجدت في المناطق الريفية والصحراوية يسمى (الشريعة)، عبارة عن خيمة مصنوعة من وبر الجمال، تقام فيها الصلوات الخمس إلى جانب التعليم وبالتالي لا يتطلب إمكانية مادية المكلفة⁴، بل يكفي أن يحتوي على حصيرة مصنوعة من الحلفاء، ومجموعة من الألواح الخشبية وبعض الأواني البسيطة وكتب الفقه والسيرة والنحو.

كان الأطفال يكتبون على ألواح خشبية مطلية بالصلصال، وتكتب بأقلام من قصب والصمغ - الحبر - مصنوع من صوف الأغنام المحروقة⁵، والتعليم بالكتاب تعليم أولي، حيث ينتقل التلاميذ إلى المساجد والزوايا لإنهاء دراستهم الثانوية⁶.

ويتلقى المؤدب أجره شهرية من أولياء التلاميذ وهي تتقارب حسب إمكانية كل واحد، ويمكن أن يتعاون معلمان في أداء مهمة التعليم إذ زاد عدد التلاميذ على حد معين، وكان

-
- 1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص277، أنظر كذلك عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ (من ما قبل التاريخ إلى 1962م)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص139.
 - 2- عبد العزيز الفيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص145.
 - 3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص277.
 - 4- اسيا بلحسين رحوي: وضعية التعليم الجزائري غداة الإحتلال الفرنسي، دراسة نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية، ع7، جامعة معمرى، تيزي وزو، ديسمبر 2011م، ص70.
 - 5- عيسى بن الذيب وآخرون: المراكز والحواسر الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، مركز البحث والدراسات في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص ص 43- 44.
 - 6- عبد الرحمان بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة 1900-1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص17.

أولياء التلاميذ عادة ما يقدمون له الهدايا التي يتلقاها خلال السنة بحلول الأعياد والمناسبة، وكذلك بمناسبة حفظ الطالب جزء من القرآن أو ختمه¹، كان وقت التعليم بالكتاب يتم صباحا ومساء، فالفترة الصباحية تبدأ من 5 أو 6 إلى 10 صباحاً أما الفترة المسائية فتبدأ من 3 إلى 7 مساء².

3.1. المعمار:

وهي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن والعلوم، عموماً إنتشرت في البوادي بمنطقة القبائل، خاصة بعد الإحتلال الإسباني لها، وحسب "يحي بوعزيز" فهي تشبه أحيانا الكتاتيب القرآنية وأحيانا تشبه الزوايا³، كانت لها أحباس وقوانين داخلية محكمة وهو الفرق بينها وبين الزاوية⁴، ومن أشهر المعمار في بلاد القبائل:

معمرة سيدي "علي بن يحي" في بني كوفي، معمرة "سيدي علي أوموسى" بالمعائقة، معمرة سيدي "عمر الشريف" على ساحل دلس، معمرة "سيدي منصور" بالعزازقة، معمرة "سيدي محمد بوقبرين" ومعمرة فريحة ببني ورتيلان⁵.

2. المدارس والزوايا:

1.2. المدارس قبل التواجد العثماني:

تأسست في عهد سابق للعثمانيين مدارس حظيت بشهرة كبيرة، وقد أشار إلى بعضها الرحالة المغاربي "الحسن الوزان" حيث ذكر أن بتلمسان خمس مدارس حسنة

- 1 - عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 213.
- 2- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص ص 199-200.
- 3 - يحي بوعزيز: "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة الثقافة، ع 326، الجزائر، 1981م، ص19.
- 4 - رشيدة شكري معمر: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية (1518-1830م)"، مجلة المعارف، ع20، الجزائر، جوان 2016م، ص20.
- 5 - يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية..... مرجع سابق، ص20.

التصميم مزينة بزخارف الفسيفساء وأنه شاهد في بجاية عدداً آخر من المدارس، كما شاهد في قسنطينة مدرستين وبالرغم من وجود شبه كبير بينها وبين شكل المسجد، إلا أنه لا يوجد في المدرسة منارة ولا آذان ولا منبر ولا خطابة¹.

يذكر "ابن أبي زرع" أن المدارس بدأت في الظهور في بلاد المغرب خلال العهد الموحد، وبالضبط في فترة حكم الخليفة "أبي يعقوب يوسف منصور" (1184/1199م) حيث يذكر عنه «...حصن البلاد وضبط الثغور وبني المساجد والمدارس في المغرب وإفريقيا والأندلس...»².

أولاً/ تعريف المدارس:

أ- لغة: من درس يدرس، درس الشيء بمعنى طحنه وجزئه، درس جزءه وسهل ويسر تعلمه على أجزائه، فيقال درس الكتاب يدرسه دراسة بمعنى قراءة وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه والمدرسة مكان الدرس والتعلم، ويقال هو من مدرسة فلان أي على رأيه ومذهبه³.

ب- إصطلاحاً: تعد إحدى المؤسسات التعليمية والتي تتولى تنشئة الأبناء والعمل على رفع قدراتهم ومهاراتهم في شتى المجالات، فهي تعمل إلى جانب الأسرة في التنشئة الاجتماعية للفرد وزرع القيم الإنسانية لديه.

1 - كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص192.

2 - ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1987م، ص351.

3- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، القاهرة، 2010م، ص 281. أنظر كذلك: أبوالفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مج2، دار صادر ط2، بيروت - لبنان، (د، ت)، ص378.

ظهرت المدرسة في تلمسان في وقت متأخر من القرن الثامن للهجرة وكانت تدرس الطلبة علوم النحو واللغة والأدب والفقه، وهو عبارة عن تعليم رسمي، وتأخذ الدولة على عاتقها تعيين المدرسين وبناء المدارس¹.

ثانياً/ أهم المدارس أواخر العهد الزياني:

- مدرسة ابني الإمام: وهي مدرسة أسسها "أبوحموموسى الأول" سنة (710هـ/1310م) لابني الإمام (أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى)، وهي أول مدرسة أنشأت في تلمسان تكريماً لمكانتهما ولعلمهما²، ويعود إنجاز هذه المدرسة خدمة جليلة للعلم، بإعتبارها أول مدرسة تقام في المغرب الأوسط تقع داخل المدينة من الجهة الغربية³، فتهافت عليها الطلبة من كل مكان، وقد تخرج منها جل أعلام المغرب "كالشريف التلمساني"، و"الإمام المقري الجد"، و"ابن مزروق الخطيب" و"أبوعثمان العقباني"⁴، وإستمرت في تأدية رسالتها التعليمية حتى القرن (10هـ/16م)⁵.

- المدرسة التاشفينية: هي ثاني مدرسة أنشأت بتلمسان⁶، وتعرف بالمدرسة الجديدة وهي من مخالذ السلطان "أبي تاشفين الأول" (718هـ/1337م)، حيث أورد "التنسي": «...كان مولعا يتجبير الدور وتشييد القصور... فخذ آثارا لم تكن من قبله ولا من بعده... وحسن ذلك ببناؤه المدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها بإزاء الجامع الأعظم...»⁷.

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002م، ص230.

2- عزي بوخلفة: تلمسان منارة إشعاع فكري حضاري، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، 2001م، ص192.

3 - محمد التنسي: المصدر السابق، ص139.

4- أحمد بابا التبتكتي: نبيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989م، ص248.

5 - ابن مريم: المصدر السابق، ص126.

6 محمد التنسي: المصدر السابق، ص، ص، 141-142.

7 - المصدر نفسه، ص141.

وقد أورد كذلك المقري ما شاهده مكتوبا عن دائرة مجرى ماء المدرسة حيث قال:
 أنظر بعينك بهجتي وسنائي * * * ويديع إتقاني وحسن بنائي.
 ويديع شكلي واعتبر فيما ترى * * * من نشأتي بل من تدفق مائي¹.
 فكانت من أشهر المدارس التي قامت بتخريج دفعات من الفقهاء العلماء، وإستمرت
 في ذلك إلى غاية القرن (16م) بفضل فطاحل علمائها².

- مدرسة بني عباد: تم تأسيسها على يد "أبو الحسن المريني" سنة
 (747هـ/1447م)، كما بنى مسجدا قرب ضريح "أبي مدين شعيب" بالعباد، اشتهرت
 بفنها المعماري وزخرفتها المميزة³، تألفت المدرسة من طابقين، حوت جميع المرافق
 الضرورية للطلاب، وحتى غرف النوم للغرباء منهم⁴.

- مدرسة سيدي الحلوي: نسبة إلى أحد رجالات العلم من الأندلسيين وأقيمت إلى
 جانبها زاوية أسست سنة (747هـ/1354م)، شيدت في أبهى حلة كانت آية في الفن
 المعماري⁵، ويقول المهدي "بوعبدلي" أنها إندثرت خلال العهد العثماني ويستدل بزيارة
 "حسن الوزان" لتلمسان في أوائل القرن العاشر هجري « والذي وجد أثناء رحلته خمس
 مدارس بتلمسان» فيرى "البوعبدلي" أنه يمكن أن تكون هذه المدرسة قد اندثرت خلال

1- أبو عبد الله المقري: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تق: احسان عباس، دار صادر، ج 5، بيروت-
 لبنان، 1988م، ص 47.

2 - عبد الحميد حاجيات: "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، ع26، الجزائر،
 (د-ت)، ص138.

3- عبد العزيز فيلاي: تلمساني في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص143.

4 - المرجع نفسه، ص143.

5- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية "الأحوال الاقتصادية والثقافية"، ج2، هذه منشورات دار الحضارة، الجزائر،
 2009م، ص277.

العهد العثماني¹، ولم يكن لها شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس الأخرى، التي عاصرتها بتلمسان².

- مدرسة اليعقوبية: بناها "أبوحموموسى الثاني" (765هـ) تخليداً لذكرى أبي يعقوب³، وهو الشيخ "أبو عبد الله الشريف التلمساني"، وجعل في بعض جوانبها مدفن لأبيه وعمه، جعل "أبوحموموسى الثاني" المدرسة ملحقة بزاوية ومقبرة مخصصة لرفاة ملوك تلمسان وأمراء بني زيان⁴، حيث كان لهذه المدرسة آثار بارزة في الحفاظ على إرتقاء الحياة العلمية والأدبية، لكن مصير هذه المدرسة الإندثار في عهد الأتراك العثمانيين⁵.

- المدرسة العنانية: حملت إسم السلطان "أبي عنان المريني"، وقد بنيت بجانب مسجد وضريح "سيدي الحلوي" وذلك (754هـ)، ومما ميز هذه الأخيرة المدخل التذكاري الشاهق وكانت مكونة من طابقين، ومن سوء حظ هذه المدارس أنها إندثرت كلها ولم يبق منها سوى مدرسة العباد⁶.

ويقول "أبو القاسم سعد الله" لم يكن هناك مدارس مستقلة بالمعنى الذي نفهمه اليوم، بإستثناء مدارس تلمسان العائدة إلى العهد الزياني⁷.

فقد عرفت تلمسان قبل مجيء العثمانيين بكثرة مدارسها التي أشاد بها الرحالة المصري "عبدالباسط خليل" والكاتب المغربي "حسن الوزان"⁸، حيث أورد في كتابه وصف

1- المهدي بوعبدلي: مركز الثقافة وخزائن الكاتب بالجزائر، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع11، مطبعة البعث، قسنطينة، نوفمبر - ديسمبر، 1972م، ص62.
2- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص144.
3- محمد التنسي: المصدر السابق، ص157.
4- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص 144.
5- المرجع نفسه، ص144.
6- العربي لقزيز: المرجع السابق، ص 49.
7- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص278.
8- أحمد مريوش وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصبية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م، ص ص 15-16.

إفريقيا أن عددها ضخما في الدولة وقال: «... إن لكل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال...»¹.

وختاما تعد المدارس من أهم الإنجازات العلمية الإسلامية، فبفضلها أصبحت الدولة الزيانية حاضرة علمية، من خلال إستقطابها العديد من العلماء والفقهاء وطلبة العلم.

2.2. الزوايا:

إلى جانب المساجد والكتاتيب والمدارس انتشرت الزوايا في الدولة الزيانية، وتعتبر الزوايا من بين المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم وتعميمه لدى المجتمع لما كانت تبثه من تعليم عالي.

أولا/ مفهومها: فهي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي، وقد بنيت لأداء وظيفة دينية، أما عن تسميتها فإنها جاءت إما لإنزوائها عن المدينة، بإعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية أو لأن وجودها كان دوما في زاوية وأطراف المدينة² وتتكون من بيوت ومنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشمل على غرف للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية³، وأيضا غرف لإقامة الطلبة وعابري السبيل، ومؤسسوا هذه الزوايا هم رجال دين متصوفون زهاد، بدأت حركتهم في الشرق الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة⁴،

وقد كانت الزوايا تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة إلى جانب أهدافها التعليمية، أما مؤسسوها كانوا من أهل الخير أرجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة وبشترك الجماعة في إنشائها ويوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، أما إدارتها

1- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983م، ص160.

2 - أحمد مريوش وآخرون: مرجع سابق، ص 149.

3 - مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، رسالة نيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006م، ص ص 76-77.

4 - سعاد فويال: المرجع السابق، ص 14.

ورعايتها فتوكل إلى قائم يعرف بالناظر ومعه جماعة من المساعدين حيث يصرف أمورها ويجتمع بأتباع زاويته ليلقنهم أسرار الطريقة، ويقراً معهم الأوراد الخاصة بطريقته، بالإضافة إلى النشاط التعليمي الذي كان ينحصر في الوعظ والإرشاد للكبار لبث الروح الدينية في النفوس والتربية والتعليم¹.

وقد ذكر "أبو القاسم سعد الله" أن مفهوم الزاوية لا يمكن حصره بالجانب الديني فقط كما تعتقد بعض الطرق الصوفية بل تتعدى ذلك فهي من المؤسسات المتكاملة ومختلفة الجوانب، فهي ملاجئ للمسافرين ومكان لإطعام الفقراء وعابري السبيل ومراكز للتعليم²، كما عبر عن ذلك ابن مرزوق قائلاً: «... والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين...»³.

فقد كانت الأوقاف والأحباس هي الموصول الوحيد لها والمتمثلة خاصة في الأراضي التي يقدمها المحسنون من الشعب بالإضافة إلى غابات الزيتون في منطقة القبائل⁴.

ثانياً/ مكانة ودور الزوايا:

- **الدور الديني:** والمتمثل في تحفيظ القرآن الكريم، ونشر الإسلام وزرع الثقافة الروحية في الشعب عامة⁵.

- **الدور التعليمي والاجتماعي:** كانت تقدم دروساً في مختلف العلوم الدينية واللغوية والأدبية، وهي نقطة إنتقالية يتأهل الطلبة نحوجامع الأزهر وجامع القرويين أوالزيتونة⁶،

1- المرجع نفسه، ص14.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص110.

3- ابن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص413.

4 - صلاح مؤيد عقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر وتاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت- لبنان، 2002م، ص307.

5- مقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920 - 1954م، دار الأمل، الجزائر، 2007م، ص98.

6 - كمال غربي: مرجع سابق، ص ص 160 - 161.

ويتمثل دورها الاجتماعي في الإيواء والتأهيل المهني والاجتماعي والنفسي، فهي ملاذنا آمنة في وقت الكوارث والأزمات الاجتماعية¹.

- **الدور السياسي:** قامت الزوايا بالدعوة إلى الجهاد ومحاربة الإستعمار منذ بدايتها وكانت حصون للمجاهدين وتوعيتهم رغم اختلاف انتمائها من سنوسية، قادية، رحمانية².

ثالثا/ أهم الزوايا أواخر العهد الزياني:

- **زاوية أبي يعقوب:** أنشأها السلطان الزياني "أبي حموموسى الثاني" سنة (765هـ/1364م)، ونصب الفقيه "أبا عبد الله محمد الشريف الحسيني" (ت 771هـ) للتدريس بها³.

- **زاوية العباد:** أنشأها السلطان المريني "أبو الحسن المريني" (1339/1347م) رفقة المسجد والمدرسة⁴. وقد ساهمت الزاوية في تخريج العديد من الأئمة والمتصوفين، واهتمت بالمسافرين واستقبلتهم بأحضانها، وقد كان لها حبوس عديدة من بساتين وضياع⁵.

- **زاوية أبي عبد الله:** أكد كبار الأعلام المشاهير، سكن موضعا واتخذة خلوة، وألزم من دخل الزاوية أن يكون سلوكه وفقا للسنة والسلف الصالح، وفرض عليهم سلوكا معيناً في المأكل والملبس⁶.

1 - دارم الشيخ: النظم التعليمية في الزوايا - زاوية الهامل - نموذجاً -، ماجستير، جامعة سطيف، 2013-2014م، ص ص 81-82.

2 - كمال بوشامة: الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المغاربي، دار هومة، الجزائر، 2007-2008م، ص 134.

3 - التنسي: المصدر السابق، ص ص 179-180.

4 - عبد الرحمان بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أوبكر بلقايد، تلمسان - الجزائر (2007-2008م)، ص ص 36-37.

5 - سعاد فويال: المرجع السابق، ص 14.

6 - عبد العزيز الفيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 1، ص 149.

- زاوية الحسن بن مخلوف: أسسها السلطان الزياني "أبو العباس أحمد العاقل" 834هـ دفن بها الولي الصالح "الحسن بن مخلوف" وكان بها مدرسة، أوقف لها السلطان أوقافا جليلة¹.

- زاوية الإمام محمد السنوسي: (ت895هـ) التي كانت في القرن (9هـ/15م) ونسبت إلى هذا الزاهد المتخصص في العقائد²، ودرس التصوف وتلمذ على يدا الشيخ "إبراهيم التازي" وألبسته الخرقة الصوفية ودرس عند "أبو الحسن القلصادي الأندلسي"³ بالإضافة إلى زاوية سيدي "الحلوي" وزاوية "أحمد الغماري" وزاوية "عين الحوت"⁴.

لعبت كل هذه الزوايا نشاطا مهما في توعية السكان وتوجيههم الروحي والثقافي، وعوضت الفراغ بفعل الفوضى السياسية في أواخر العهد الحفصي والزياني وخطورة الغزو الإسباني وقد قال "أحمد توفيق المدني" «...إن الزوايا خاصة ببلاد القبائل استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في حضور الجهل والظلمات»⁵.

فمنذ تأسيسها كانت مكسبا ثقافيا واجتماعيا في تطور الحركة العلمية والفكرية وترقية المجتمع حضاريا، ولعبت دورا اجتماعيا كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء وعابري السبيل وطلبة العلم والتكفل بهم، أما الدور التربوي التعليمي بدء باستقبال طلاب العلم ونشر العلم في جميع مستوياتهم⁶، حيث عظم دورها بسبب إنتشار نفوذها وهيمنة شيوخها على عقول الناس بداية من القرن (9هـ/15م)⁷.

3.2. المكتبات:

-
- 1- التنسي: المصدر السابق، ص248.
 - 2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص40.
 - 3- ابن مريم: المصدر السابق، ص138.
 - 4 - سعاد فويال: مرجع سابق، ص14.
 - 5- أحمد توفيق المدني: في الهوية والانتماء، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1972م، ص140.
 - 6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص267.
 - 7 - عبد العزيز الفيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص350.

أولا/ مفهومها:

لقد إهتم الإنسان منذ القدم بالإحتفاظ بما دونه من أخبار وأعمال وعلوم رغبة في توثيقه والمحافظة عليه، حيث أطلق على المكان الذي يحتفظ به تلك المخطوطات اسم المكتبة أو خزانة الكتب، والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهود سحيقة¹، حيث أعتبرت في الحضارة العربية الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون، وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية بإعتبارها جزء من العملية التعليمية، وقد إنتشرت في جميع المؤسسات التعليمية الثقافية على إختلاف أنواعها، بالإضافة إلى منازل العلماء². فهي المركز الثقافي والمعلوماتي الذي يعكس تراث أمة وتطورها العلمي والأدبي والفني، فيذكر "أبو القاسم سعد الله" « أن الجزائر كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، كما أن الكتب كانت تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أوتجلب من الحجاز... ومصر والأندلس، وأن هناك عدد من المكتبات قبل مجيء العثمانيين»³. فلقد ظهرت في تلمسان بإعتبارها عاصمة علمية مزدهرة، صناعة الكتب تأليفا ونسخا وجمعا⁴.

ثالثا/ أهم المكتبات في أواخر العهد الزياني:

- مكتبة أبي حموموسى الثاني: تأسست هذه المكتبة على يمين المحراب من الجامع لأعظم سنة (760هـ/1359م)، كانت تزخر بمجموعة قيمة من الكتب مثل: كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان "الأبي حموموسى الثاني"⁵.

1- بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت - لبنان، 2003م، ص407.

2 عبد الغني عبد الله يسري: "من تاريخ المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية-المكتبات الخاصة"، دورية كان التاريخية، مجلة إلكترونية، ع16، (د.د)، 2012م ص02.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص273.

4- مولاي بلحميسي: "مازونة"، مقصد الدارسين وقلعة الخليلين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005م، ص37.

5 - التنسي: المصدر السابق، ص123.

- مكتبة السلطان أبوزيان محمد الثاني: تأسست هذه المكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الكبير سنة (796هـ/1394م)، وقد احتوت بعض كتب تعود إلى السلطان مثل كتابه (الإشارة في حكم العقل بين النفس مطمئنة والنفس الأمانة)، وقد عملت الدولة والأفراد على توفيق الأوقاف للمكتبات حتى توفر دخلا للعاملين بها وشراء الكتب الجديدة لتزويد المكتبات بها.

- مكتبة الجامع الأعظم: التي أنشأها "أبوحموموسى الثاني" سنة (760هـ)¹، والمكتبة التي أنشأها "أبوزيان" ابنه (796هـ)²، بالإضافة إلى مكتبة مازونة وذلك من خلال ما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات، وقد وصل عدد المكتبات في حاضرة تلمسان وماجورها عشرين مكتبة³.

لقد كان علماء تلمسان وطلبتها منشغلين بجمع الكتب ودراستها، وبدل على ذلك كثرة المصنفات المعتمدة في عملية التعليم، إضافة إلى ذلك أن ملوك بني زيان كانوا مهتمين بتعمير المكتبات خدمة للطلبة.

3. الوقف:

يعرفه "أبو القاسم سعد الله": «...الوقف أو الحبس هونظام إسلامي معروف وله أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية كبيرة في المجتمع، وإستحدثه المسلمون لتوفير المال، والسكن وغيرها من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرياء والأسرى، وصيانة المؤسسات التي أنشأت لهذا الغرض كالماء والطرق والمساجد والزوايا والقبايا...»⁴، فهو ظاهرة ثقافية واجتماعية وإسلامية عرفت الجزائر في الفترة الإسلامية التي سبقت قدوم الأتراك إلى البلاد وإستحوادهم على مقاليد الأمور، وذلك رغم ندرة

1- شاوش الحاج محمد بن رمضان: المرجع السابق، ص400.

2- التنسي: مصدر سابق، ص211.

3- مولاي بلحمسي: مرجع سابق، ص37.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص25.

الوثائق التي تتعرض للوقف بالبلاد الجزائرية، لا تتجاوز حسب علمنا أواخر العهد الحفصي والزياني وأحسن مثال لهذا وثيقة أوقاف "سيدي أبي مدين"¹، بتلمسان المؤرخة في (966هـ / 1500م)، والتي تنص على أن عدد الأملاك الموقوفة على مسجد ومدرسة أبي مدين كانت تناهز ثلاثة وعشرون ملكا عقاريا داخل وخارج تلمسان². لكن لم تعرف الأوقاف توسعا بالجزائر إلا أثناء العهد العثماني فقد عرفت إنتشارا واسعا³.

في الختام نجد أن هذه المؤسسات التعليمية كالمساجد، المدارس، والزوايا والمكتبات، والأوقاف كانت عبارة عن حلقة وصل يكمل بعضها البعض، فقد كان العلماء ينتقلون لها لبث العلم وتشجيع الطلبة لتطور الحركة العلمية فأصبحت الدولة قبة طلبة العلم والعلماء.

III. أصناف العلوم في الدولة الزيانية وعلمائها:

إختلف الحياة الفكرية والثقافية في العهد الزياني عبر العصور، مما جعل التطور يختلف من فترة لأخرى، وهذا كله بفضل علماء ومثقفين برزوا في مراحل مختلفة من الدولة، ساهموا في إبراز أهم العلوم في هذا العهد ونذكر من بينها:

1. العلوم العقلية والنقلية:

1.1 العلوم العقلية:

يقول عنها "ابن خلدون": «... أنها طبيعة بالنسبة للإنسان ما دام له فكر، وأنها غير مختصة بجملة معينة، وتسمى أيضا بعلوم الفلسفة والحكمة ومن أهم علومها علم المنطق...»¹.

1- أبي مدين: هوشعيب بن الحسين الأنصاري من كبار الأولياء والمتصوفين، أصله من الأندلس (إشبيلية)، ولد (515هـ/1121م)، وتوفي (594هـ/1197م). أنظر: أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص ص 530-532.

2- أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص ص 57-58.

3- المرجع نفسه، ص 58.

والعلوم العقلية تنقسم إلى أربعة أنواع من العلوم: علم المنطق والعلم الطبيعي (كالنبات، والحيوانات، المعادن والأجسام الفلكية، والحركات الطبيعية...)، وعلوم التعاليم ويسمى كذلك علم المناظر والمقادير الأعداد والفلك والهندسة وعلم الموسيقى...²، لكل من هذه العلوم تفرعات مثل: علم الأعداد يتفرع منه الحساب.

فالعلوم العقلية كل ما يشمل العلوم العددية كالحساب والجبر والمقابلة، والطب والمنطق وعلم الفلك وغيرها، وقد عرفت هذه الأخيرة إهتماماً من قبل العلماء الذين إختاروا التخصص فيها والتعمق في دراستها وتدريسها من بعد³؛

ومن أشهر العلماء في هذا المجال: "أبو عبد الله محمد إبراهيم الأبلبي"⁴ (ت 757هـ)، و"أبو عبد الله محمد بن يحيى النجار التلمساني"⁵، و"أبو الحسن علي بن أحمد" المشهور "بابن الفحام"⁶ وغيرهم كثير.

2.1. العلوم النقلية:

لقد شاعت في عصر الدولة الزيانية مجموعة من العلوم، كانت تشكل المحتوى الفعلي للحركة العلمية، وكانت تختلف من مكان إلى آخر ومن فترة إلى أخرى حسب الأهمية، وحسب ما توفر من علماء التدريس تلك المواد، من هذه العلوم بالعلوم النقلية وينقسم هذا النوع إلى العلوم الدينية والشرعية وتتمثل في: الحديث والفقهاء والتفسير وأصول الدين، و علم الكلام، القراءات والتصوف والرؤيا والفرائض، بحيث إزدهر هذا النوع من

1- عبد الرحمان بن خلدون: ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، مرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2000م، ص541.

2- عبد الرحمان بن خلدون: المصدر نفسه، ص 478.

3- شقدان: المرجع السابق، ص153.

4- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني المرجع السابق، ج2، ص330.

5- ابن مريم: المصدر السابق، ص184.

6- شقدان: المرجع السابق، ص236.

العلوم بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، لأنها مكنت الطلبة من التحصل على مناصب و وظائف في مجال: الخطابة أو القضاء أو الدواوين الإدارية¹.

وهناك علوم أخرى ظهرت نهاية العهد الزياني منها: الأدب واللغة، والبلاغة والنحو، والتاريخ والجغرافيا والتراجم²، وكان لهذه العلوم في العهد الزياني تطورا كبيرا، ومن أشهر العلماء في هذا الاختصاص: "أبو عبد الله محمد بن منصور" "بن هدية القرشي التلمساني" يقال أنه من نسل "عقبة بن نافع"، درس الأدب والفقه والألسن، وكان يعمل في كتابة الرسائل على لسان سلاطين تلمسان وكذلك "أبو عبد الله الشريف"³.

2. العلماء والأمراء:

2. 1 أهم العلماء في العلوم العقلية والنقلية:

عرفت فترة نهاية العهد الزياني بروز العديد من العلماء، الذين ساهموا في تطوير العلوم دراسة وتدريسا وتأليفا، ففضلهم إزدهرت كل أصناف هذه العلوم، منها الدينية كال تفسير والحديث والفقه والعقيدة والعلوم اللغوية والأدبية، وكذا الاجتماعية والعقلية ويظهر ذلك جليا من المصنفات الكثيرة من هذه العلوم، ومن أهم علماء أواخر العهد العثماني نذكر:

أولا/ في العلوم النقلية: وجه علماء الدولة الزيانية جل إهتمامهم للعلوم الدينية والحديث⁴.

أ- التفسير: كان من أهم أعلام الفكر في حقل التفسير في العهد الزياني:

- أبو عثمان سعيد بن محمد التيجيبي العقباني التلمساني: ولد بتلمسان (720هـ/ت

811هـ) أحد العلماء عن أبناء الإمام العلوم العقلية والنقلية وأصول الدين والفرائض¹،

ومن مؤلفاته: شرح سورة الفاتحة... وشرح لمختصر بن الحاجب في الأصول².

1- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 115.

2 - عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ص 439.

3 - مبحوث بودواية: المرجع السابق، ص 129.

4 - يحي بن خلدون: مصدر سابق، ص 115.

- أحمد بن محمد بن عبد الرحمان: الشهير "بابن زاغو المغراوي التلمساني" ولد سنة (782هـ/ ت 845 هـ)، أخذ عن "سعيد العقباني" و"أبي يحيى الشريف" وكان فقيهاً وعالماً ومفسراً، من مؤلفاته: مقدمة في التفسير... ومنتهى التوضيح في علم الفرائض³.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي (909هـ): عالم ومفسر نسبة إلى "مغيلة" قبيلة بربرية نشأ في تلمسان، من أهم مؤلفاته (البدر المنير في علوم التفسير... ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، وكتاب الفتح المبين)⁴.
- ب- الفقه: إن الحديث عن الفقه في المغرب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمذهب المالكي خصوصاً المغرب الأوسط لشيوعه هناك، وكذلك لكثرة المؤلفات فيه، ومن بين العلماء الذين برعوا فيه نذكر:
- محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني المشهور بالخطيب: فقيه مالكي أخذ العلم عن "محمد بن مرزوق الكفيف" وعن الإمام "أبي العباس" وغيرها، كان حياً في حدود سنة (819هـ)⁵.
- إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني: فقيه مالكي ولد (808هـ/ ت 880هـ)، أخذ العلم عن والده وغيره من علماء تلمسان⁶.
- يحيى أبي عمران بن موسى بن عيسى المازوني: فقيه مالكي، نشأ في مازونة في قرية في جبال الظهرة بين واد الشلف، ولي قضاء مازونة ثم رحل إلى تلمسان كان من أكبر علماء عصره له كتاب (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) توفي سنة (883هـ)⁷.

1- يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ص 123.

2 - ابن مريم: المصدر السابق، ص 106.

3- المصدر نفسه، ص 41- 43.

4- نفسه، ص ص 235- 257.

5- المقري: المصدر السابق ص ص 235- 236.

6 - التبتكي: المصدر السابق، ص 65.

7 - المصدر نفسه، ص 637.

- إبراهيم بن قائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني: ولد في جبال جرجرة سنة (796هـ)، رحل إلى تونس ثم إلى قسنطينة له شرح ألفية "بن مالك" في علم النحو... تفسير القرآن، توفي سنة (895هـ)¹.

- أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني: ولد سنة (834هـ)، نشأ بتلمسان أخذ عن علمائها مثل "أبي فضل قاسم بن سعيد العقباني" وولده "أبي سلام" و"محمد بن العباس" و"ابن مرزوق الكفيف" وغيرهم، ترك "الونشريسي" عددا هاما من التأليف منها (المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب) وكتاب (القواعد في الفقه) ... ظل "الونشريسي" مستقرا في فاس إلى غاية وفاته (914هـ)².

ت- علم الحديث: ولعلم الحديث أهمية كبيرة في الدين الإسلامي، فقد إهتم به علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان، جراء إهتمامهم الكبير بمسيرة النبي "محمد" صلى الله عليه وسلم ومن علماء أواخر العهد الزياني الحديث نذكر:

- محمد عبد الجليل التنسي (ت 899هـ): أصله من تنس وإستوطن تلمسان بعدما ألح عليه السلطان "يغمراسن"، وكان من كبار علماء المغرب الإسلامي، وقد قام بتدريس الحديث وغيره من العلوم، إحتك به خلق كثير مثل: "أبي عبدالله سعد" و"الخطيب ابن مرزوق" ... أطلق عليه لقب الحافظ، له عدة تأليف منها: (نظم الدرر والعقيان في ملوك دولة بني زيان)، (راح الأرواح)³... إلخ.

ث - العلوم اللسانية: وتنقسم إلى:

1- التبتكي: المصدر السابق، ص341.

2 - التبتكي: المصدر السابق، ص53. أنظر كذلك: عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص365.

3- المصدر نفسه، ص 372-373.

- **الشعر:** لقد شهدا إزدهارا كبيرا وتطورا ملحوظا، وذلك راجع إلى تقدير ملوك الدولة الزيانية للشعر والشعراء، ففي النثر فوجد: "ابن خميس" الذي لقب بشاعر المئة السابعة¹، ووجد كذلك "أبو عبد الله بن محمد الشغري التلمساني" نبغ في فنون الأدب، ونظم القصائد خصوصا في الملك "أبوحموموسى الثاني" وأخرى حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف²، ومن أهمهم من برز في هذا الميدان:

- **محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي:** ولد ببجاية عام (821هـ)، ثم هاجر إلى تلمسان وأخذ عن علمائها مثل "ابن مرزوق الحفيد" و "أبي سعد العقباني" و "ابني الإمام"، بعد تمكن من العلم رحل إلى تونس ثم إلى الشام أين توفي هناك سنة (864هـ)، فأصبح له باع في الأدب والحديث والفقه والحساب والهندسة والتصوف، والمنطق والجدل والطب وأصول الدين والفلسفة³.

- **ابن الحاج البيدي التلمساني:** تعلم الأصول والمنطق والمعاني والبيان والعربية على يد "ابن زكري" و "الحافظ التنسي"...، كان ماهرا في علوم اللغة والحساب، كما كان يقرض الشعر وكان زاهداً في الدنيا من مؤلفاته (شرح سينية ابن باديس) و (شرح البردة للبويصري)... الخ، توفي حوالي سنة (930هـ)⁴.

ثانيا/ العلوم العقلية:

أ- العلوم الطبيعية:

وتشمل الطب والرياضيات والفلك والتنجيم، والكيمياء وعلم الفلاحة والموسيقى وغيرها من العلوم التطبيقية، التي لقيت تشجيعا من حكام "بني زيان"، ولعل من بعض العلماء الذين برزوا في هذا الميدان نذكر:

1- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص109.

2- التنسي: المصدر السابق، ص162.

3- التتبيكتي: المصدر السابق، ص531.

4- عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص152.

- محمد بن ابراهيم بن أحمد الشهير بالأبلي: شيخ العلوم العقلية في عصره، ومن أشهر علماء المغرب الأوسط في القرن الثامن هجري أخذ علوم المنطق والأصول على "أبي موسى بن الامام" وعن جده "القاضي" وعلى "أبي الحسن التبسي"، سافر إلى المشرق ثم عاد إلى بلاده ثم بعدها رحل إلى المغرب (فاس) وتونس وبرع في علوم الحساب (ت 757هـ)¹.

- أبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحام: كان عالما بالحساب والهندسة وقد ابتكر أنواعا من الآلات².

- محمد بن أبي جمعة التلايسي: كان طبيبا "لأبوحوموسى الثاني" وهو أهم أطباء المغرب الأوسط في القرن (808هـ)، وكان كذلك ينظم الشعر وأديبا متفننا³.

- محمد بن ابراهيم بن الإمام أبو الفضل: ولد بتلمسان ونشأ بها رحل إلى تونس سنة (810هـ)، ثم إلى القاهرة ثم إلى الشام ليزيد علمه فكان لأبي الفضل هواية كبيرة في العلوم العقلية والنقلية، وله أعمال في الأدب والطب وله أبحاث في التفسير (ت 845هـ)⁴.

- محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي: ولد ببجاية وبها أخذ العلم عن والده إرتحل إلى تلمسان سنة (840هـ)، وأخذ على جل علمائها في مختلف العلوم، أتقن فن الحساب والجبر والمقابلة والطب توفي عام (865هـ)⁵.

- محمد بن أحمد بن يحيى الشهير بالحبائك: ولد ونشأ بتلمسان وهو أحد كبار علماء المغرب الأوسط وخصوصا في الحساب والفرائض و الإسطرلاب⁶.

1 - التبتكي: المصدر السابق، ص 411.

2- عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 246.

3 - التبتكي: مصدر سابق، ص 580.

4- المصدر نفسه، ص 521.

5- عبد الجليل قريان: مرجع السابق، ص ص 354 - 355.

6- التبتكي: مصدر سابق، ص 543.

- علي بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي: نزيل تلمسان كان نابغة في الرياضيات والفرائض وغيرها من العلوم، تجول في معظم أنحاء المغرب والمشرق من مؤلفاته (كتاب كشف الحجاب عن قانون الحساب) توفي سنة (891هـ)¹.

- محمد بن قاسم بن توزرت التلمساني: أحد كبار علماء المغرب والأندلس في الحساب والهندسة والخط.

ثالثا/ العلوم الاجتماعية:

أ- التاريخ: من العلوم التي لم يغفل عليها الزياتيون، وألّفوا فيه كتباً ومن أهم المؤرخين للدولة الزيانية نذكر "أبوزكرياء يحيى بن خلدون" (780هـ/1348م)، ولد في تونس نشأ وتلقى العلم على علمائها، عين في منصب الحجابة ثم كاتباً للسلطان الملك "أبوحموموسى الثاني"، له كتاب (بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد)².

- محمد بن عبد الله التنسي: (899هـ) من مؤلفاته (نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان) و كتاب (زهرة البستان في دولة بني زيان)، وهناك كتاب عنوانه (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب) لأبي "صعد التلمساني" توفي سنة (901هـ/1465م)³.

ونلاحظ مما سبق أن نهاية العهد الزياني عرف وجود حركة علمية زاخرة في مختلف علوم كالتفسير والفقّه وأصول الدين والعربية والنحو والفرائض والحساب والطب والهندسة والتاريخ وغيرها، إلا أن العلوم النقلية كانت محط اهتمام الجميع بها أما العلوم العقلية فقد قلّ التأليف فيها، ولم يكن فيها إبداع وإبتكار.

2.2. علاقة العلماء بالأمراء:

1- المقري: المصدر السابق، ج2، ص692.

2- يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص ص 7- 52.

3-التنسي: المصدر السابق، ص107.

لقد عرفت الدولة الزيانية فترة إزدهار كبير وتطور محسوس في المجال العلمي والأدبي، حيث سعى الأمراء والعلماء والأدباء والشعراء إلى تنشيط الحركة العلمية والأدبية، وظهر من هؤلاء خاصة في ميدان العلوم الشرعية: "الونشريسي"، و"محمد بن يوسف السنوسي"¹.

بالإضافة إلى كل من "عبد الكريم الفكون"²، والعلامة "عبد الرحمان الثعالبي"³ وغيرهم من علماء هذا العصر⁴.

لكن أواخر العهد الزياني شهد اضطرابات سياسية وسوء الأحوال الاقتصادية انعكست على الوضع الثقافي فنجد علاقة العلماء مع السلطة ظهرت في ثلاث توجهات، فهناك بعض العلماء هاجر إلى المشرق والمغرب، وربط آخرون منهم مصيرهم ببعض الأمراء، بينما إنزوى بعضهم مفضلا عيشة الزهد والهروب من مغريات الحياة، وقد خسرت الحياة الثقافية في الجزائر بهجرة العلماء، عالما جليلا هو "أحمد بن يحيى

1 - محمد بن يوسف السنوسي: هو أبو عبد الله يوسف بن عمر بن عمر بن شعيب بن السنوسي الحسيني، والسنوسي نسبة إلى قبيلة أبيه، أما الحسيني، نسبة إلى الحسن بن علي "رضي الله عنه"، من جهة جدته (أمه أبيه)، تذكر أغلب المراجع أنه ولد (832هـ / 1428م)، استطاع خلال حياته أن يقدم إنتاجا هاما في مختلف المعارف من مؤلفاته: العقيدة الصغرى والعقيدة الكبرى والعقيدة الوسطى. أنظر: محمد بن يوسف السنوسي: شرح المختصر في المنطق، تح: سعيد عينوان، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، (د-ت)، ص45.

2 - عبد الكريم الفكون: ولد في قسنطينة (988- 1073هـ) - (15580-1662م)، يعد أبرز علماء الجزائر في القرن 17م، إنحدر من عائلة عريقة في العلم والفتوى والقضاء وأمه تنتمي لأسرة شريفة، تولى القضاء والفتوى والخطابة، كما تولى إمارة ركب الحجيج كان عالما صوفيا من أشهر مؤلفاته: "منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية". أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص 519- 520.

3 - عبد الرحمان الثعالبي: هو أبو يزيد عبد الرحمان بن مخلوف الجزائري بن عمر بن نوفل بن منصور... بن جعفر بن أبي طالب، ويلقب بالثعالبي نسبة إلى الثعالبة الذين استوطنوا مدينة متيجة، ولد سنة 785هـ بواد يسر في الجنوب الشرقي بمدينة الجزائر، توفي 875هـ، ودفن بالجزائر، كان عالما متصوفا، ترك العديد من المؤلفات والمصنفات منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن... نفائس المرجان في قصص القرآن، أنظر أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص ص 89- 90- وكذلك علي بن يحيى كعي: آراء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره، ماجستير في العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، (د، ت)، ص25.

4 - كمال أبو مصطفي: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1997م، ص65.

الونشريسي" حيث هاجر إلى مدينة فاس، لأسباب سياسية ونفس الأسباب أدت بالمفكر "محمد بن عبد الكريم المغيلي" إلى الهجرة من تلمسان إلى السودان القديم، وهناك عدداً آخر من العلماء هاجروا إلى الشرق وتوفو به من أمثال: "أبو الفضل محمد المشدالي البجائي"، و"أحمد أبو عصيدة البجائي"، و"أحمد بن يونس القسنطيني"، و"أبي القاسم" والمعروف "بابن سالم الوشتالي القسنطيني"، وأيضاً "أبي زيان ناصر بن مزني البسكري" و"محمد بن أحمد" المعروف "بابن سعد تلمساني"، بينما كان "ابن القنفذ" يؤلف (الفارسية) للسلطان الحفصي "أبي فارس".

وكذا "محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي" يؤلف (نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان) للسلطان "أبي عبد الله محمد بن أبي تاشفين الزياني". وكان الشاعر "بن عبد الرحمان الحوضي" يسخر موهبته الشعرية لخدمة السلطان "أبي عبد الله الزياني"، والشاعر "أحمد الخلوف القسنطيني" يشيد بالسلطان "أبي عمر عثمان الحفصي"¹، ولكن رجالاً من أمثال "عبد الرحمان الثعالبي" وتلميذه "أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري" ومعاصريهم "محمد بن يوسف السنوسي"، إختاروا حياة العزلة والتصوف وترك الدنيا لأصحابها والإهتمام (بعلوم الأخرى) حسب تعبير "الثعالبي"...، ووسط هذه الصورة المضطربة للحياة السياسية، كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتفتح بمدارسها ومساجدها ثقافة².

3. الحواضر الثقافية أواخر العهد الزياني:

كانت حركة الثقافة والتعليم في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز على ثلاثة حواضر رئيسية هي تلمسان في الغرب الجزائري، ومدينتي بجاية وقسنطينة في الشرق الجزائري، وكانت هذه الحواضر تعد بحق مراكز للتعليم والثقافة والإشعاع الفكري، فقد

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص42.

2 - مسعود العيد: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، ع3، مطبعة البعث، قسنطينة، (د - ت)، ص58.

ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون لعدة قرون، كما اشتهرت بها أسر علمية توارثت العلم والمعرفة، وتقلد أفرادها مناصب التدريس والإفتاء والقضاء والإمامة نذكر منها أسرة "ابن مرزوق" و"المقري" و"العقباني" في تلمسان، و"ابن باديس" و"ابن القنفذ" و"الفكون" في قسنطينة، وأسرة "المشتالي" و"الغبريني" في بجاية¹.

IV. التعليم ومناهجه:

1. طرق التدريس: نجد طرق التعليم خلال هذا العهد قد اختلفت، ومن بين الطرق

نذكر:

1.1. طريقة المحاور والمناظرة: اختلفت الطرق التعليمية بين المراكز الثقافية إلا

أن الطريقة السائدة كانت طريقة الحوار والمناظرة، ويقول هنا "ابن خلدون" إن الطريقة هذه كانت تتم في مجالس السلاطين، وأنها كانت تعتمد في تلمسان خلال العهد الزياني، وذلك بمعنى الفقيهين ابني الإمام "موسى عمران المشدالي"، لأنهم أخذوا تعليمهم من علماء المشرق وتونس²، كان يرى من إتبع هذه الطريقة أنها الأنفع للطلاب للتدقيق والإجتهاد وعملية البحث، وهذه الطريقة مفيدة لأنها تجبر الطالب على الإطلاع على كتب كثيرة، ليدخل في الجدل في قضية ما، فنجد مثلا "أبو زيد الإمام" كان يعتمد على طريقة المناقشة والمناظرة، فيلقي بين طلابه المسائل العلمية الصعبة ثم يقيم بينهم طريقة الحوار والإستفسار من خلال أقوال العلماء³.

2.1. طريقة الإلقاء والشرح: وتميز هذا الأسلوب بإيضاح المسألة بنقل كلام

الشرح عنها، ثم بعد ما يبحث المدرس المسألة مع طلبته فقرة فقرة ليتمكنوا من تدوينها.

3.1. الطريقة التنفيذية: وتعتمد هذه الطريقة على السماع والإملاء وهنا يقوم

المعلم بالجلوس في وسط حلقة الصبيان في وضعية تمكنه من الإشراف عليهم ويملي

1 - مسعود العبد: المرجع السابق، ص 18.

2 - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 320.

3 - ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 266.

عليهم شيئاً من القرآن الكريم، وكانت هذه الطريقة تستعمل أكثر في الكتاتيب، ومن خلال ما رأيناه من مدرسة إلى أخرى حسب كل معلم، إلا أن طريقة الشائعة بهذا العصر هي طريقة الحوار والمناظرة¹.

2. مناهجه:

إهتم سلاطين بني زيان منذ إستقرار سلطانهم بالمغرب على نشر الثقافة العلمية والأدبية، ومثال على ذلك: "أبوموسى الثاني"، و"أبوزيان"، و"أبوالعباس أحمد العاقل"... وبفضل هؤلاء أصبحت تلمسان عاصمة ثقافية مشهورة، نافست العواصم العلمية في الجانب الثقافي، كالقاهرة وفاس...²، و أصبح التعليم مصدر كل نهضة علمية وثقافية، وهو رمز التقدم في المجتمع الإنساني³، فقد إنتشر التعليم في معظم قرى ومدن الدولة العبودية، فكان التعليم يرمي أولاً بالذات إلى تنشئة الطفل ديننا ودينويها، ولهذا كانت البرامج التعليمية تعتمد على مبادئ الدين، كما كانت تعتمد على فنون أخرى لا أساس لها بالدين وإنما صالحة للحياة الدنيا، وهي بذلك ترفع من مستوى العقلي والعلمي، وقد كان يزاول بالمساجد عبر أنحاء المملكة، بحيث يتم تدريس العلوم بأنواعها، كما أن المعلم كان لا ينتقل من فن إلى آخر حتى يتقنه طلابه وما يؤكد ذلك قول المغراوي: «... إن إزدحام العلوم مقللة للفهوم...»⁴.

2. مراحل التعليم: يمكن إيجازها في ثلاث مراحل:

- 1 - فاطمة الزهراء عمار: المدارس التعليمية بتلمسان مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2009 - 2010م، ص 84. أنظر: كذلك عبد الحميد حاجيات: ابوحوموسى الثاني حياته وآثاره، ط2، الجزائر، 1983م، ص101.
- 2 - لخضر بوعبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ابن النديم للنشر والتوزيع، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ص ص 213-214.
- 3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص313.
- 4 - أحمد بن أبي جمعة المغراوي: جامع جوانب الاختصار والبيان، تح: أحمد جلول ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ت)، ص219

المرحلة الأولى: تعتبر المرحلة الإبتدائية، حيث تولي الإهتمام بتعليم القرآن الكريم في مختلف ربوع بني زيان، وكان على المعلم الالتزام بتحفيظ القرآن للتلاميذ وحروف الهجاء والكتابة والقراءة الحسنة، وينبغي عليه أن يتفقد حفظ التلاميذ للقرآن الكريم، ولا ينتقل التلميذ من سورة إلى أخرى حتى يحفظها¹.

المرحلة الثانية: يبدأ التلميذ هذه المرحلة بدراسة مجموعة من المواد فنجد أن كل تلميذ يقبل على التعلم حسب إستعداده، وله كل الحرية في إختيار المواد التي يميل إليها، وبما كانت المواد الشرعية متغلبة في مناهج التعليم في دولة "بني عبد الواد"، وما من شك في أن طلبة هذه المرحلة يستهلون تعليمهم في تلك المواد مع مزاولتهم تعلم العلوم المساعدة لها².

والملاحظ على هذه الفترة أنها تتميز بالدراسة العامة والشاملة لمختلف مفردات المواد، ثم محاولة الغوص فيها ببطء³.

المرحلة الثالثة: تسمى هذه المرحلة مرحلة التعليم العالي، حيث ينتقل إليها الطلاب بعد الإنتهاء من المرحلة الثانية، وهذا التعليم يتعاطاه الذين لهم قدرة على فهم الدروس التي كان يلقيها كبار الأساتذة وقد كانت أوسع من الأولى في الشرح والزيادة في المسائل العلمية، كان العلم في هذه المرحلة يدفعهم إلى الإنتقال إلى بلد آخر في سبيل ذلك⁴.

3. نظام التعليم:

1 - المغراوي: المصدر السابق، ص24.

2 - قريان: المرجع السابق، ص220.

3 - لخضر بوعبدلي: المرجع السابق، ص221.

4 - خالد بالعربي: التطور السياسي والحضاري للدولة العبد الوادية في عهد يغمراسن (633-681هـ/1235-1282 م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة جيلالي اليابس، تلمسان، قسم التاريخ، 2003-2004 م، ص315.

كان أيام الدراسة منظمة، حيث كان الأسبوع الدراسي يبدأ صباح السبت وينتهي يوم الجمعة عطلة أسبوعية¹، حيث كان الأطفال يدرسون أسبوعياً القرآن والكتابة والعلوم المذكورة حسب المنهج المتبع:

- أولاً: دراسة القرآن تبدأ من النهار في مبكر حتى الضحى.

- ثانياً: يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر.

- ثالثاً: الإنصراف إلى بيوتهم للغذاء، ثم العودة بعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر ثم إستراحة في آخر النهار.

أما حصة المساء فتخصص لدراسة بقية المواد التي نص عليها المنهج كالنحو والعربية والشعر والحساب والتاريخ²، وكان الهدف من عطلة الجمعة هو راحة الأطفال و أيضاً كون هذا اليوم هو عيد المسلمين عامة³.

أما عقاب الطفل في هذه المرحلة كان غير مستحب لكي لا تترب عنه إنعكاسات خطيرة تؤدي به إلى التكاثر عن إكتساب الفضائل والخلق الجميل⁴.

V. المؤثرات الثقافية:

ولقد كان لهجرة الأندلسيين أثر كبيراً على المجتمع الجزائري من جميع النواحي ولعل القرن (9هـ/15م) قد شهد أكبر موجة من موجات هذه الهجرة⁵، بالإضافة إلى هجرات عديدة ساهمت في إزدهار الحياة العلمية واللغوية بها، حيث توافد عدد كبير للعلماء من مناطق مختلفة: فاس، وتونس⁶...، وقد تركت الهجرة أثراً بالغاً على المجتمع الزباني بفضل ثقافتهم العالية وعلمهم الوافر، فقد إستفاد أهل تلمسان بمعارفهم الأدبية، وأضافوا

1 - لخضر بوعبدلي: المرجع السابق، ص221.

2 - المرجع نفسه، ص221.

3 - خالد بالعربي: المرجع السابق، ص315.

4 - المرجع نفسه، ص314.

5 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص44.

6 - عبد الله العروبي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ط2، ص114.

إلى ذلك تعليم القرآن والحديث الشريف والقواعد العامة لمختلف العلوم إضافة إلى جلبهم الموسيقى الأندلسية¹، فقد أضفوا على الحياة الحضارية طابعاً راقياً متميزاً لا يزال قائماً إلى يومنا هذا و هو ما يسمى بالميراث الفني الأندلسي².

وقد وجدت الأسر الأندلسية المتوافدة على المغرب الأوسط ضالتها، من أمن وإستقرار، حيث أنهم وجدوا ترحيباً كبيراً من قبل ملوك بني زيان، وقد تفرقوا بين مدنه من الشمال إلى الجنوب.

فقد كانت مدينة بجاية وندرومة ودهنين وتلمسان مقصد الجالية الأندلسية، وقد إستعان بهم أمراء بني زيان في تسيير دواليب حكمهم، شغل قسم منهم مناصب هامة في الدولة مثل: أسرة "ملاح" و"هلال القطاني" والفقير "أبي بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي"، وهو من الذين ترجم لهم "ابن خلدون"، ومن الموظفين الأندلسيين نذكر "ابن وضاح"³.

VI. حركة التصوف نهاية العهد الزياني

لاشك أن الإنتشار الذي عرفته الحركة التصوفية في بلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني، لم يولد من فراغ إنما هوننتاج لجهود سابقة بذلت قبل هذا العصر، فإهتم علماء تلمسان وغيرها من الحواضر الزيانية بعلم التصوف وبرزوفيه⁴.

1- مفهوم التصوف:

لقد أخذ لفظ التصوف عدة تعريفات، فهو علم مدون تعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس شرعاً وعقلاً، وهو العكوف على العبادة والإنقطاع لله، والإعتراض عن زخرف

1 - عبد الله العروي: المرجع السابق، ص 115.

2 - محرز أمين: الجزائر في عهد الأغوات (1659م - 1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2007/2008م، ص 21.

3 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 179.

4 - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 141-142.

الدنيا و زينتها و الزهد فيها، يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه، و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة و كان ذلك عاما في الصحابة و السلف¹، فهو فقه القلوب و الأخرة أو علم الباطن، وهو يوازي علم الظاهر أي الفقه أما " أبو القاسم سعد الله" عرفه «...على أنه التصوف الحقيقي الذي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب و السنة معرفة دقيقة و العلم بها، و الجمع بين العلم و العمل و السعي إلى معرفة الله حق المعرفة، عن طريق التأمل و النظر و التفكير في مخلوقاته بالإضافة إلى التقى و الورع و التجرد عن هوى النفس، و حب الدين و الإبتعاد عن مغريات السياسة و السلطة و عدم التعاون مع الظلمة و المتجبرين...»². لعل من أشهر أعلام التصوف في حاضرة تلمسان نذكر:

- عبد الرحمان ابن زاغو (ت 845 هـ): الذي وصفه ابن مريم في كتابه البستان فقال عنه «... قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم، و به يضرب المثل في الزهد و العبادة...»³.

كما كان لبعض الحكام دور في تشجيع علم التصوف و منهم "أبو محمد بن أبي حموموسى الثاني" بكتاب سماه (الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمانة)⁴.

- قاسم سعيد العقباني التلمساني: فقيه مالكي أخذ العلم عن والده، تولى القضاء بتلمسان و حج سنة (830 هـ)، أخذ عنه "ابن مرزوق الكفيف" و "أبو العباس الونشروسي" و "ابن زكرياء يحيى المازوني" و "الحافظ التنسي" و "أبو الحسن القلصادي" و غيرهم، له عدة تأليفات نذكر منها (تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي) وله أيضا (أرجوزة في

1 - صباح بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن (10هـ/16م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، (2005-2006م)، ص 38.

2 - أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 87.

3 - ابن مريم: المصدر السابق، ص 42.

4 - محمد بن عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص ص 160-161.

التصوف) توفي سنة (854هـ)¹، وقد عرفت حواضر الدولة الزيانية ظهور عدة أعلام آخرين غير تلمسان، فقد ذكرهم "أبو القاسم سعد الله" حسب تعريفه السابق للتصوف ورأى أنهم هم الأشخاص الذين تتوفر فيهم هذه الصفات والشروط "عبد الرحمان الثعالبي" و"محمد بن يوسف السنوسي" و"عبد الرحمان الأخضرري" و"عمر الوزان" وأمثالهم خير شاهد على ذلك².

أما في وهران فظهر كذلك "محمد الهواري" وتلميذه "إبراهيم التازي" وتلميذ "عبد الرحمان الثعالبي" "أحمد الجزائري" وتلميذه "السنوسي" في تلمسان، وفي ندرومة "يوسف الندرومي" صاحب (قبس الأنوار وجامع الأسرار)، وفي قسنطينة "محمد الزواوي الفراوسني" صاحب (المرائي)³، و"بركات القسنطيني"، وفي بسكرة "عيسى بن سلامة البسكري"⁴.

1 - التبتكتي: المصدر السابق، ص ص 365-366.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، المرجع السابق، ص 28.

3 - المرائي: هو أن يقص المتصوف رؤياه في شكل دراسة لتجربته النفسية وهو في حالة غيبة وليس في حالة حضور، وموضوع الرؤيا عادة ديني، كأن يري النائم الرسول (ص) ويثبته على ما هوفيه أو يعده بشئ أونحوذلك، وقد كثرت هذه المرائي للنبي من الصالحين والأولياء وغيرهم، فما يكون المتصوف إلا أن ينهض ويكتب رؤياه في قصاصات ويقصها في شكل كتاب أو رسالة. أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 101.

4 - المرجع نفسه، ج 1، ص 89.

خلاصة:

من خلال هذا الفصل توصلت إلى مايلي:

- يعتبر العصر الزياني عموماً في المغرب الأوسط، من أزهى العصور حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم، وعرفت البلاد أوج مجدها الحضاري والفكري ويعود ذلك إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية إلى الأمام.

- من مظاهر هذا الإهتمام إنشائهم ورعايتهم للمؤسسات التعليمية، التي كان لها الفضل الكبير في تفعيل النشاط الفكري، حيث إنتشرت الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وظهر عدد هائل من العلماء الذين خلفوا تراثاً علمياً هاماً مازال متوارثاً بين الأجيال.

- على الرغم من إضطلاع المساجد والكتاتيب بمهمة التربية والتعليم، تعتبر الزوايا أهم المؤسسات العلمية الهامة في بلاد المغرب، وكانت تمول بأموال الحبوس لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه، حيث أوكلت لها مهمة تحفيظ القرآن الكريم وتدريس مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية.

- إزداد إنتشار المؤسسات خصوصاً الزوايا في البوادي، فكان لذلك تأثير في تقليص الفوارق التعليمية بين المدن والأرياف.

- وقد ساد في القرن التاسع هجري الإتجاه الروحي (الإهتمام بعلوم الآخرة والتصوف)، والحقيقة أن التراث الثقافي خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي يعتبر التركة التي ورثها العهد العثماني الذي بدأ مع وصول "الإخوة بربروس" إلى الجزائر.

الفصل الثاني:

الوضع الثقافي في الجزائر (1519-1671م).

تمهيد

- I. الوضع السياسي للجزائر بداية القرن السادس عشر ميلادي.
- II. المؤسسات الثقافية.

1. المساجد والزوايا.
2. الكتاتيب والمدارس.
3. الرباطات والمكتبات.
4. الأوقاف (الوقف الثقافي).
- III. التعليم ورجاله.

1. سياسة التعليم.
2. وسائل التعليم.
3. مراحل التعليم ومناهجه.
- IV. العلوم وأنواعها

1. العلوم الشرعية.
2. العلوم النقلية.
3. العلوم العقلية.
- IV. فئة العلماء ومناصبهم.
1. مكانة العلماء ووظائفهم.
2. علاقة العلماء بالحكام.
3. هجرة العلماء

- VII. المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر بداية العهد العثماني.
1. التصوف بداية التواجد العثماني في الجزائر.
2. أهم الطرق الصوفية بداية التواجد العثماني في الجزائر.
3. أثر المتصوفة على البنية الثقافية والاجتماعية.

خلاصة.

تمهيد:

أردت في هذا الفصل تسليط الضوء على الجانب الثقافي للجزائر خلال التواجد العثماني، كون هذا الأخير لم تكن هناك دراسة كافية حوله، رغم الثراء الثقافي الذي عرفته الجزائر آنذاك، فعندما نقول حياة ثقافية في إيالة الجزائر، فإننا نقصد بالضرورة المؤسسات الدينية والتعليمية، بالإضافة إلى العلوم النقلية خصوصا الشرعية منها والعلوم العقلية، إلى جانب أبرز علماء الفكر والثقافة آنذاك، ومؤسسة الأوقاف التي كانت تعد المورد للإنفاق على هذه المؤسسات الثقافية ورعايتها، بالإضافة إلى الطرق الصوفية التي كانت تمثل الحزب السياسي الذي له جمهوره وفروعه وإيراداته وكلمته إتجاه الأحداث الحاصلة.

1. الوضع السياسي للجزائر بداية القرن السادس عشر ميلادي:

ارتبط وجود العثمانيون في الجزائر بالغزو الإسباني لها، في مطلع القرن (16م)، وهذا عندما إستجد سكان الجزائر بالإخوة "عروج" و"خير الدين" نظرا للروابط الدينية المشتركة¹، حيث وجدت هذه الأخيرة نفسها أمام التحرشات الإسبانية التي كانت لها دوافع صليبية حاقدة على الإسلام، فكان هذا الإستجد لتخليصهم من الإحتلال الأجنبي²، وبذلك كان ظهور "الإخوة بربروس" على مسرح الأحداث ودفاعهم وإنقاذ للمسلمين الأندلسيين الفارين من الإضطهاد الإسباني، فقد كانوا غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد هذا العدوان الصليبي وحماية الثغور، وإقامة حكم إسلامي ثابت وقوى ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو وصخرة تحطمت عليها معظم محاولات الغزو الخارجي، وقد ظل الجهاد هو العامل الموحد والأساسي بينهم وبين الجزائريين، وهذا ما جعل سكان الجزائر يطلبون الحماية من السلطان العثماني والدخول تحت لواء الخلافة العثمانية³.

ويشير "أبوراس الناصري" إلى أن العثمانيين جاءوا إلى الجزائر في سياق الصراع ضد الدولة الإسبانية وأن تأسيسهم لإيالتها ودفاعهم عنها ضد التحرشات الإسبانية والأوربية خلال القرون التالية السادس إلى الثامن عشر ميلادي، ويذكر أيضا أن هذه السلطة الجديدة حمت بلاد المسلمين (يقصد الجزائر)، ودافعت عنها بإسم الجهاد، الذي إعتبره شرطا من شروط السياسة الشرعية⁴.

1 - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997م، ص 13.
 2- ناصر الدين سعيدوني: "الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، المجلة الثقافية الجزائرية، العدد 45، الجزائر، 1978م، ص 25.
 3 - أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 187.
 4 - محمد بن أحمد أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتتح: محمد غانم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران - الجزائر، 2005م، ص 48.

ويذكر "المزاري" عن سبب مجيء العثمانيين إلى بر الجزائر «... أن أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي كتب بعد إجماع مع أعيان الجزائر إلى سليم سلطان الترك وبذلك سأله النجدة فبعث للجزائر الباشا خير الدين وشقيقه عروجا...» ثم يسرد قولاً "لأبوراس" في عجائب الأسفار «...أن خير الدين وشقيقه عملوا بالجهاد في البحر فأذاقوا النصرى شرا وقهروهم قهراً...»¹.

فقد ساهم "عروج" في تحرير شرشال سنة 1516م، وفتح "حصن الباستيون"، وبعد إستشهاد عروج سنة 1518م، عزم "خير الدين بربروس" على مغادرة مدينة الجزائر، لكن أمام إصرار سكانها وعلمائها على التمسك ببقائه تراجع عن ذلك وبقي بالمدينة².

وقد بورك هذا الطلب للانضمام بالقبول وتم تعيين "خير الدين" بايلر باي على الجزائر، الذي إتخذ مدينة الجزائر عاصمة له، وبهذا دخلت الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية، إذا أصبحت تعرف بالمحروسة³ وقد ساعد هذا على تطور عمرانها من حيث الحصانة والدفاع، وبهذا تميزت مدينة الجزائر بفن عمراني راقى ومتنوع منها الصور والقلاع والحمامات المبنية بالرخام والمزينة بالفسيفساء، تتخللها أسواق متنوعة أهمها سوق باب عزون، كما ضمت المدينة مؤسسات دينية علمية، منها الزوايا والمساجد والمكتبات والمدارس إضافة إلى هذا كانت الجزائر تضم عدة طوائف من حيث التركيبية الاجتماعية⁴.

1 - بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودر: يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990م، ص 255.

2 - خير الدين بربروس: مذكرات المجاهد خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، دار الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 117.

3 - عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة من ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص ص 174-175.

4 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 175.

من خلال هذا نجد أن الوجود العثماني لم ينشأ من فراغ دفعة واحدة في كامل القطر الجزائري، ولكنه أخذ وقتاً طويلاً حتى يمتد ويتوطد، إذ تمركز العثمانيين في المدن والمناطق الساحلية لصد العدوان الأجنبي، أما فئات السكان فقد سلكوا طريقة التعامل المتفاضل وهو الإقتراب من الأندلسيين منهم رجال الدين، لا سيما أهل التصوف والعلماء، أما في داخل البلاد فقد إختاروا التعاون مع القيادات المحلية الراغبة في التعاون معهم لأسباب إقتصادية ونفوذية¹.

II. المؤسسات الثقافية :

عرفت الجزائر خلال بداية التواجد العثماني تنوعاً في المراكز التعليمية سواء في المدن أو الأرياف، حيث نجد الكتاتيب التي تخصصت في التعليم الإبتدائي للأطفال الصغار والمساجد، التي تعددت مهامها بين أداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم والتعليم، إضافة إلى المعمرات والزوايا التي لعبت دوراً هاماً خاصة في الأرياف سواء زوايا المرابطين أو زوايا الطرق الصوفية، وهذا دون أن نهمل دور المدارس وخاصة الرباطات التي مارست التعليم والجهاد في نفس الوقت، فقد كانت الحياة الثقافية في الجزائر ترتبط بهذه المرافق التي كانت تؤدي وظائف عديدة وفق نظام وضعه العلماء.

1. المساجد والزوايا:

لقد تنوعت المساجد والزوايا من خلال العهد العثماني في الجزائر، وكان لكل منها وظيفته الخاصة به.

1.1. المسجد:

كان المهدي الأول للتعليم² فمنذ العهود الأولى للإسلام كانت إلى جانب وظيفتها الدينية تقوم بوظيفة التعليم، واستمرت على هذا المنوال عبر مختلف الفترات الإسلامية؛

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، المرجع السابق، ص 19.

2 - العيد مسعود: المرجع السابق، ص ص 61-62.

رغم ظهور المدارس في القرن (05هـ) والإنتشار الواسع لهذه الأخيرة، لم تستطع الإنقاص من قيمة المساجد وإنما تعايشا معا في نشر رسالة التربية والتعليم في العالم الإسلامي¹. فيعتبر المسجد المكان المخصص لأداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية، ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية للمجتمع²، ويوجد هناك فرق ما بين الجامع والمسجد، فالجامع أكبر من المسجد فهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجماعية أو الجمعة أو العيدين، وكان يسمى أيضا جامع الخطبة وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم³، وكان لهذه المساجد مكانة مركزية لا تعوض فهو مكان للعلم ومدرسة غير محدودة العدد⁴، وقد إشتهرت خلال العهد العثماني العديد من المساجد منها نذكر:

في الجزائر كان الجامع الأعظم أو ما يسمى (بالجامع الكبير)، وهو أكبر مسجد في مدينة الجزائر الذي يقدر مساحته نحو مائتي متر مربع، ويعود وجوده إلى ما قبل العهد العثماني⁵، ويعتبر (مسجد السيدة) الذي يقع في مدينة الجزائر من أجمل المساجد الذي يعود بنائه إلى القرن (16م)، وقد إشتهر بزخرفته وأناقته⁶.

وتختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، حيث يذكر الأسير الإسباني "هايدو"، أن مدينة الجزائر كانت تعد حوالي مائة مسجد من بينها سبعة رئيسية ومنه (مسجد السيدة)⁷.

1 - العيد مسعود: المرجع السابق، ص 64.

2 - سعاد فويال: المرجع السابق، ص 84.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 243.

4- العربي ايشودان: مدينة الجزائر (تاريخ عاصمة)، دار القصبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 50.

5 - عبد القادر نور الدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع الجزائر، 2006م، ص 155.

6 - Assia Djebar, Veles d'Algérie au 19ème siècle, Edition ANEP, Alger, 2005, p 19.

7 - أقدم الوثائق التي تتحدث عنه ترجع إلى 1546م تحدث عنه هايدو الإسباني سنة 1581م. أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 5، ص 10-11.

وكذلك جامع "محمد باشا" ومسجد "سيدي السعدي" ومسجد "إبن نيقرو"، وكذلك جامع "القشاش" الذي إكتسب شهرة عظيمة خلال العهد العثماني، للدروس التي كانت تلقى فيه وفي المدرسة المتصلة به والزاوية المسماة بنفس الإسم¹، وهناك حوالي خمسون مسجدا في تلمسان، كانت في معظمها صغيرة، وكانت تعقد فيها حلقات الدروس في العلوم الدينية، أما تحفيظ القرآن وتعليم الكتابة والقراءة تتم في الكتاتيب الملحقة بالمساجد²، بالإضافة إلى وجود جوامع كبرى أخرى إنتشرت في كامل ربوع الجزائر مثل:

- **جامع كتشاوة:** وجد في حي كتشاوة (1021هـ/1621) وقد أعاد "الباشا حسن"

بناؤه، وقد حول إلى كنيسة في العهد الإستعماري، يتميز بالطابع المعماري التركي³.

- **الجامع الكبير بقسنطينة:** هو أقدم مساجد المدينة، يذكر أنه بني في عهد "يحي"

الأمير الحمادي الأخير، تميز بالزخرفة النباتية والكتابة بالخط الكوفي، وأهم من درس به

الشيخ "المكي البوطالبي"، "الشيخ بن عيسى الشاذلي"⁴.

- **جامع سيدي عمر الوزان:** كان يقع برحبة الجمال، في سنوات الإحتلال الفرنسي

قررت السلطة المحتلة إزالة الجامع، لإقامة منشآت على أنقاضه، ونقلت رفات "عمر

الوزان" إلى جامع "سيدي عبد الرحمان".

- **جامع رحبة الصوف:** وهومن أقدم المساجد أسسه الباي "رجب" الذي حكم ما بين

(1666-1673م)، قرب رحبة الصوف بالجزائر، حولته السلطة الإستعمارية إلى

مستشفى عسكري.

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص 253-255.

2 - التنسي: المصدر السابق، ص 125.

3 - سعاد فويال: المرجع السابق، ص ص 72-76.

4 - كمال غربي: المرجع السابق، ص 93.

وهناك أمثلة أخرى لمساجد مندثرة أخرى مثل: جامع "سيدي علي الطبي"، جامع "سيدي بوشداد"، جامع "سيدي الهواري"، جامع "سيدي النقاش"، جامع "سيدي الشاذلي" وجامع "سيدي عبد القادر"¹.

وكان إقليم قسنطينة على إتساعه قد إشتمل على عدد آخر من المساجد أيضا من عناية التي فيها سبعة وثلاثون مسجد أشهرها جامع "سيدي أبي مروان"، كما إشتهرت بجاية بالمساجد القديمة والحديثة، ومن أشهر مساجد ناحية قسنطينة أيضا مسجد "الخنفة" الذي يعود تاريخه إلى سنة 1147هـ².

وكذلك جامع "سيدي بومدين"، و الجامع الكبير بتلمسان، جامع "محمد السنوسي"، جامع "إبن زكري"، جامع "أولاد الإمام" بالمدينة، جامع "سيدي البراري"، الجامع الأحمر³. وفي الغالب كان المجتمع هو الذي يقوم ببناء هذه المساجد، ما عدا بعض المبادرات الفردية للحكام الذين بنوا المساجد وأنفقوا عليها⁴، وهي حالات إستثنائية وليست سياسة عامة للحكام، وكان غالب الحكام العثمانيين مهتمين بالجانب العسكري، ورواتب الجند ضمانا للإستقرار و الأمن، دون التفريط في تقريب المرابطين وإستعطاف العلماء⁵. وقد كان تشيد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد و الوقف عليه وصيانتته، ولكن أعيان القرية أو الحي كانوا يساهمون بالتبرعات ونحوها⁶.

1- كمال غربي: المرجع السابق، ص 148.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص ص 248-249.

3 - أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص ص 12 - 13.

4 - رشيدة شكري معمر: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة الجزائر، 2007م، ص 76.

5 - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1792م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 248.

6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 246.

2.1. الزوايا:

وهي الظاهرة التي إنتشرت بشكل كبير في بداية العهد العثماني، وعمت المدن والأرياف، وغطت جانبا مهما من الحياة العلمية والثقافية، وإنتشرت بحكم إنتشار الصوفية، وقد عرف بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر أن الزاوية¹ هي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي، وقد جمعت بين العبادة والتعليم مثل بعض العلوم الشرعية كعلوم الفقه ومبادئ القراءة والكتابة، وكان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة، فهو يجمع بين هندسة المسجد والمنزل²، وفي تعريف آخر ذكرته "سعاد فويال" أن « الزوايا عبارة عن منازل أو بيوت تختلف من حيث طبيعتها في الأشكال والأحجام تحتوي على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن والعلوم العربية الإسلامية... »، وقد إحتلت الزوايا في الأرياف صدارة أكثر من المدن³. وكانت للزاوية في الريف أرض موقوفة يحرثها المسلمون، وكانت تحظى بأهمية كبيرة من قبل السكان، إذ كانوا يقدمون لها جزءا معتبرا من إنتاجهم الفلاحي، وبهذا الإنتاج وإنتاجها الخاص، يستغلون هذه المحاصيل في تيسير أمور الزاوية من صيانة ودفع أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ⁴.

وكلمة الزاوية في العهد العثماني لم تستعمل بالمفهوم الديني المعروفة به اليوم عند الطرق الصوفية، بل هي عبارة عن مؤسسة كاملة فيها المسكن والملجأ والتعليم والعبادة⁵ حتى الإطعام، وقد كان بعضها يعتبر مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الصغار في الكتاتيب أو المدارس القرآنية.

1 - أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص 149.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 269.

3 - سعاد فويال: المرجع السابق، ص 14.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 316.

5- ياسين بوديعة: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007م، ص18.

وقد ظهرت في المغرب العربي منذ القرن (13م)، لتحل محل الرباط تدريجياً وإستمرت في التطور، حتى إستقرت وظائفها النهائية في العهد العثماني على يد الطرق الصوفية والمرابطين، لهذا كان إسم الزاوية يطلق على مقر المرابط في حياته أو بعد مماته، وقد يكون أسسها بنفسه أو أسست على ضريحه¹.

تزايد عدد الزوايا إبتداء من القرن (16م)، خاصة أن هذه الزوايا كانت تشكل رباطات للجهاد، وذلك عندما سقطت الأندلس وأصبح التهديد المسيحي، الذي تبناه ملوك إسبانيا على السواحل الجزائرية، ونجحت الزوايا بالجزائر في هذه المرحلة من التنظير للبعد الوطني وقيمه في الأوساط الجماهيرية².

ولقد لعبت الزوايا دوراً مهماً، واحتلت مكان الصدارة بين المؤسسات التعليمية من ناحية تنقيف المعوزين والفقراء من أبناء العامة³، وللزاوية نوعان نوع خلواتي يدعى شيوخها المعروفة بأسرار دينية غريبة، ولكل شيخ طريقة لفرضها على أتباعه من الفقراء والإخوان المريدين، ونوع غير خلواتي لا يدعى شيوخها معرفة أسرار دينية معينة، ولكن يتخذون لأتباعهم ورداً خاصاً من الأذكار يتلونها وراء الصلوات⁴، فالأولى تقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم وتوفير غرف لإقامة عابري السبيل، الذين كانوا قد مروا بمرحلة تعلم القراءة وحفظ كتاب الله، بينما الثانية تتولى تدريس بعض العقائد الدينية و الفقه وقواعد النحو و الصرف وبعض المواد العلمية كالفلك⁵.

1- محمد الطاهر الفيلاي: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر، 1976م، ص 27.

2- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص202.

3- محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 58.

4- سعاد فويال: المرجع السابق، ص 14.

5- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 268.

ومن بين الزوايا التي كانت تزخر بها الجزائر العاصمة زاوية "الثعالبي"، وزاوية "عبد القادر الجيلاني"... إلخ، أما في مدينة قسنطينة ونواحيها فلقد بلغت حسب الإحصائيات ستة عشر زاوية منها:

زاوية "سيدي المناطقى"¹، وزاوية "سيدي عبد المؤمن"... إلخ، وزاوية "سيدي يعقوب" وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر، وزاوية القليعة، وزاوية "المريوسى" بالأربعاء، وزاوية "البركاني" قرب شرشال، أما تلمسان فحوت العديد من الزوايا مثل زاوية "الطيب"، زاوية "بومدين"، زاوية "محمد السنوسي"... إلخ، وزاوية "محمد الزواوي" ببجاية، وزاوية "الفكون" بقسنطينة وزاوية "مازونة" بمعسكر وفي تلمسان زاوية "عين الحوت" التي كان لها دور كبيرا في نشر التعليم²، وتعد منطقة القبائل أغنى المناطق بالزوايا حيث تصل إلى خمسين زاوية³.

2. الكاتيب والمدارس:

لقد برزت بشكل جلي في الجزائر العثمانية مراكز علمية تعرف بالكاتيب والمدارس.

1.2. الكاتيب:

كانت أقل وحدة للتعليم الابتدائي هي الكتاب، أي جمع كتاب أو المكتب كما يسمى أحيانا إسم "مسيد" وهو تصغير لكلمة مسجد⁴، وهي مراكز صغيرة نسبيا غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين، مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم للصبيان، وترتيبه، وقد تكون منفردة أو ملحقة بمسجد كبير، تحتوي عادة على أربع حجرات واحدة لتعليم الصبيان، والثانية لإقامة الطلبة، الثالثة للصلاة، والرابعة للمؤونة والأدوات الضرورية⁵.

1 - مختار حساني: التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج، ج2، مشورات الحضارة، الجزائر، 2007م، ص214.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص ص268-269.

3 - المرجع نفسه، ج1، ص285.

4 - نفسه، ص265.

5 - مختارية تراري: التعليم بالكاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، ع 14-15، الجزائر، 2001م، ص60.

يتم تأسيسها غالبا بشكل منفصل عن المسجد بغرض الحفاظ على نظافته ونقاوته¹، وكان مفروش بالحصير يجلس فوقها الأطفال والمعلم²، وتكون هذه الحصير منسوجة من الحلفاء، ويطلق عليها سكان الجبال الخرابيش لبساطة بناءها وفرادها³، كانت الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن وفي الأحياء منها ما كان يحمل إسم الحي الواقع فيه وبعضها يحمل إسم الزاوية⁴، ومن بين الأمثلة عن الكتاتيب أو المسيدات: مسيد "بورقعة"، مسيد "سيدي بوقدور"، مسيد الحمامات، مسيد حوانيت "سيدي عبدالله"، ومسيد الزاوية بزواوية "سيدي الشريف الزهار"، ومسيد جامع "السفير"⁵ ومسيد القيصرية، وكذا مسيد جامع السيدة، ومكتب "الشماعين"⁶، وكان الأطفال في الكتاب إلى جانب تحفيظ القرآن يتلقون قواعد تلاوة القرآن وتجويده وترتيله، وبعض العلوم الفقهية والمبادئ الدينية⁷، ويزدحمون حول المعلم وهم يجلسون أنصاف دوائر فيملي عليهم أجزاء من القرآن الكريم، يكتبونها على ألواح خشبية⁸، وكان معلم القرآن يسمى بمسميات كثيرة منها: الفقيه، الشيخ، الطالب وينتمي عادة إلى الطبقة الفقيرة، يتقدم لتعليم القرآن مقابل راتب يقدم له في شكل محاصيل زراعية أو ثمار مختلفة، ويشترك كل سكان القرية بتقسيم راتب معلم القرآن⁹.

1- أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص 48.

2- مختارية تراري: المرجع السابق، ص 61.

3 - فاطمة الزهراء سيدهم: الثقافة بالجزائر العثمانية في نهاية القرن (18م) وبداية القرن (19م)، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19 فبراير 2014م، ص 255.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 277.

5 - يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الثقافية، المرجع السابق، ص 19.

6 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 مرجع سابق، ص 277.

7 - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص 213.

8 - المرجع نفسه، ص 212-213.

9- فاطمة الزهراء سيدهم: مرجع سابق، ص 10.

أما فيما يخص بناء الكتاتيب فكان يساهم في بناءها غالبية فئات المجتمع كالباشوات والبايات والموظفون الذين كانوا يشتركون مع الأهالي لإقامة هذه الكتاتيب¹. وعلى الرغم من وجود هذه الكتاتيب ودورها التعليمي غير أن وظيفة المدرسة الابتدائية تبقى هامة.

2.2. المدارس:

لقد عرفت المدارس إنتشارا واسعا خلال العهد العثماني حيث كانت جل المدن والأرياف الجزائرية بها مدارس، وكان انشاؤها يتم على أيدي المحسنين وتمولها الأوقاف التي كان يحبسها أصحاب النفوس الخيرة، والتي تهب عقاراتها لبناء هذه المدارس ولم يكن للدولة شأن بها².

وقد كان للمدرسة مكانة هامة لدورها فهي تتقف وتربي الأطفال على قوام الإسلام وفق نمط إجتماعي محدد، كما أنها تقوم بتعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، من أجل إعطاء الطفل رصيذا معتبرا من المعارف والتي تساعده على مواصلة تعليمه بعد سن الرابعة عشر وذلك بعد إستكماله للطور الابتدائي الذي إبتدأه من سن الخامسة أو السادسة، أما البنات فيتعلمن في مدارس من نفس النوع تشرف عليها نساء ولكن تعليمهن لا يتعدى المستوى الإبتدائي³، وقد كانت المدارس منتشرة في المدن والأرياف كما ذكرنا خصوصا المدن الكبرى بأعداد كثيرة تلفت أنظار الزائرين والرحالين، فقد كانت الأقوال متضاربة حول عددها في مدينة الجزائر، بحيث كان في البلاد هنالك من يدخل الزوايا

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 277.

2- فاطمة دحية: الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015م، ص 22.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي: المرجع السابق، ج1، ص 279، وكذلك عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ: ج1، المرجع السابق، ص 173.

والمساجد في إحصاءات واحدة لتشابه وظائفها، إذ تورد بعض الدراسات أن الجزائر وتلمسان وقسنطينة، من أهم المراكز الثقافية في البلاد¹.

وقد كانت لها أهمية كبيرة في النواحي الغربية من البلاد وتقاليد متينة إستمدت من صلتها بالتعليم بتلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، وكذلك معسكر فقد كان هناك بعض المدارس العليا أو ما يشبه المعاهد في المدن الكبرى في الجزائر وقسنطينة وبجاية وتلمسان²، التي تقوم بمهام تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب بعض العلوم الأخرى كالحديث والنحو و اللغة و الفقه³ و التوحيد، وإستكمال هذه الدراسات بعلم الحساب والمؤلفات الطبية والفلك وإذا كان العثمانيون لم يعيروا التعليم أهمية كبيرة فإن هذا الأمر كان على كاهل المجتمع الذي تكفل به وإن كانت هناك بعض المبادرات لبعض الحكام⁴، ومن بين المدارس المشهورة في العهد العثماني نذكر:

- مدرسة مازونة:

التي كانت تقدم العلوم الشرعية كالفقه وعلم الحديث وعلم الكلام، كان تأسيس المدرسة خلال القرن (11هـ/16م) نحو سنة 1029هـ⁵، على يد الشيخ "محمد بن الشارف" وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص، وكانت مقصد النواحي الغربية من مستغانم وتنس وتلمسان ووهران⁶، بالإضافة إلى وجود مدارس أخرى مثل: المدرسة القشاشية، مدرسة الجامع الكبير، مدرسة شيخ البلاد، مدرسة الأندلسيين، ولم تكن هذه المدارس في

1- رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، ط1، دار الملكية، الجزائر، ص 48.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 285.

3 - أبوراس الناصري: المصدر السابق، ص 48.

4- سليمان الصيد: نفع الأزهار عما في قسنطينة الأخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، (د.ت)، ص 35.

5- جلول دواجي عبد القادر: "مدرسة مازونة ودورها التعليمي في العهد العثماني"، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والانسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع4، ديسمبر 2018م، ص 20.

6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 285.

مستوى جامعات الأزهر والقرويين والزيتونة، لكنها كانت تلعب دورها على أحسن حال خاصة مدرسة الجامع الكبير التي تعد شبه جامعة لشهرة العلماء المفكرون الذين كانوا يدرسون بها مثل "سعيد المقرئ" في تلمسان، ودروس "عبد الكريم الفكون" والذي كان لأسرته مدارس بأسمائهم¹ و كانت مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية، التي يتردد عليها تلاميذ إبتداء من سن الخامسة، وتذكر الإحصائيات أن بقسنطينة وحدها خمسة وثلاثون مسجدا وسبعة مدارس للتعليم الثانوي وتسعون مدرسة إبتدائية، وفي العاصمة وجد بها مئة مدرسة إبتدائية وثانوية².

ومن أشهر المدارس في غير العواصم مدرسة الخنقة التي مؤسسها "أحمد بن ناصر"، وكانت مقصد طلاب الزيبان وواد سوف والأوراس وحتى قسنطينة³. كانت المدارس العلمية مؤسسات ثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهورها بطابع تربوي، فهي صحيح عبارة عن مؤسسات دينية تقدم تعليما في مستوى التعليم الثانوي لكن تتميز عن الزوايا بإستبعادها جوانب الزهد والتصوف، وحصر إهتمامها على التعليم والحساب⁴.

3. الرباطات والمكتبات:

1.3. الرباطات:

هي عبارة عن معاهد دينية تشبه الزوايا، وقد إشتهرت الرباطات بحراسة الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي، حيث إزدادت أهميتها عندما تكاثرت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الإفريقي⁵، فكان الرباط عبارة عن الإقامة للجهاد

1- عبد الكريم الفكون: (1073 - 1662م)، ألف منشور الهداية في شكل مذكرات والتي إنتهى منها 1635م، ينظر منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1987م، ص ص 08-14.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 284.

3- محمد مفلح: غليزان مقاومات وثورات من (1500-1914م)، دار الأديب، الجزائر، 2010م، ص 34.

4- حسان صبحي: العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، (د. د) الجزائر، 2014م، ص 223.

5- المهدي بوعبدلي: "الرباط والفداء في وهران والقبائل"، مجلة الأصالة، ع 13، الجزائر، 1973م، ص 22.

ضد الغزو بالحرب¹، لذا أعتبر المرابطون أو رجال الرباط آنذاك مجاهدون²، وهي تشبه الزوايا من خلال بعض الوظائف كخدمة الدين والمجتمع بما في ذلك التعليم، ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنها مواقع قريبة وأمامية في وجه العدو، لأن تأسيسها بهدف خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام، حيث يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت³، لكنها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية، بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية⁴ وجل مؤسسها أو المشرفين عليها كانوا علماء دين⁵.

كانت الرباطات منتشرة على السواحل، وهي بمثابة المحركات للجهاد وتقوم بنصر المجاهدين وتدريبهم و إطعامهم، كما تقوم بتجنيد الشعب، ورفع الروح المعنوية للمحاربين وحتى الطلبة لم يتوانوا عن المشاركة في هذه الحركات الجهادية⁶، فالرباطات تعد قلاعا من ناحية ومن ناحية أخرى زوايا ومدارس متنقلة وهذا بحسب تواجد العدو وفي هذا الصدد نذكر زاوية الشيخ " محمد بن علي الحاجي " التي أشتهرت بكونها رباطا وزاوية ومدرسة⁷، ونظر لإشتداد الخطر الإسباني إهتم العثمانيون بها⁸، فيما بعد إنحصرت بالغرب الجزائري لإستمرار التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير⁹.

-
- 1 - محمد بن عبد الرحمان التلمساني: الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارة عليها جند الكفرة، تح: محمد بن أبي شنب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص13.
 - 2- مزيان عبد الحميد: طريق الذهب وطريق الثقافة، مجلة الأصالة، ع 3، 1971م، الجزائر، ص19.
 - 3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 272.
 - 4- مزيان عبد الحميد: مرجع سابق، ص 18.
 - 5 - المهدي بوعبدلي: الرباط والفداء، المرجع السابق، ص 25.
 - 6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 272.
 - 7- أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص 25.
 - 8- المهدي بوعبدلي: الرباط والفداء، مرجع سابق، ص 19.
 - 9- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 272.

2.3. المكتبات:

لتسهيل عملية المؤسسات السابقة ضمت الجزائر عدد هاما من المكتبات، التي تحتوي على العديد من الكتب التي كانت إما إنتاجا محليا عن طريق التأليف والنسخ أوتجلب من الخارج ولا سيما من الأندلس ومصر وإسطنبول والحجاز¹، وقد شهدت المكتبات في العهد العثماني إنتشارا وتنوعا بين ما هو تابع للمؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا وأخرى خاصة، يعود بالدرجة الأولى لبعض العائلات التي تستقبل الطلاب من كافة أرجاء الجزائر، وقد إشتهرت كل من تلمسان وقسنطينة عاصمة المورث الثقافي والعلمي وبجاية والجزائر بإنتاجهم للكتب، بالإضافة إلى وجود أماكن وأسواق مخصصة لبيع الكتب مثل: سوق الوراقين بالعاصمة و وجدت بها مكتبة الجامع الكبير².

فقسنطينة كانت زاخرة بالكتب والمكتبات، وخاصة المكتبات الخاصة التي تملكها الأسر القسنطينية مثل "عائلة الفكون" التي تواجد بها حوالي 2500 مجلد³. ولقد كثرت المخطوطات في العهد العثماني، وكانت مكتباتها منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، كما يلجأ إليه الطلبة والأستاذة من جميع النواحي للمطالعة بها، أما المكتبات العامة فقد كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس وكانت هذه المكتبات موزعة على القطر الجزائري⁴.

ووجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين خصوصا في تلمسان كما ذكرنا سابقا فقد بلغت فيها صناعة الكتب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية، مع مكتبات معسكر ومازونة⁵.

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 285.

2- أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير، تح وتوق: محمد بن عبد الكريم، دار السويد، أبو ظبي بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، ص 15.

3- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص 60.

4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 296.

5- مولاي بالحيمسي: المرجع السابق، ص 37.

فهذا "التمغروطي" يذكر أن مدينة الجزائر في القرن (16م) كانت غنية بالكتب حيث قال «... أن الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا...»¹، والشئ نفسه عن مدينة قسنطينة كما أسلفنا التي كانت زواياها وبيوت أسرها تعج بالمكتبات التي حوت كتب المشاركة والأندلسيين بالإضافة إلى المؤلفات المحلية، حيث شجع بعض الحكام العلماء على الإستقرار وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة².

فبعض الأسر كانت تملك الغيرة على العلم والتأليف فعائلة واحدة تملك تقريبا حوالي ألف من المخطوطات، وهذا يدل على إنتشار حركة التأليف والنسخ بين العلماء آنذاك³، لكن شراء الكتب أو إمتلاكها لم يكن دائما للإستفادة العلمية بل كان عند البعض للتفاخر بها خاصة بعض العائلات⁴، وحتى شيوخ القبائل كانوا يقلدون الملوك والسلاطين في إنشاء خزائن الكتب مثلما فعل "أبو عبد الله محمد الصخري بن أحمد الشريف" شيخ قبيلة الداوودة المعادية للأتراك⁵.

وهناك كتب وصلت إلى الجزائر عن طريق العثمانيين أنفسهم، فالقضاة والمفاتي وال دراويش الذين يرافقون الجند من إسطنبول، غالبا ما كانوا يحملون مكتباتهم الخاصة معهم⁶، كما استفادت الجزائر من تراث الأندلسيين الذين هاجروا إلى الجزائر، وجلبوا معهم كتبا كثيرة وهذا ما أشار إليه التمعروطي بقوله «... وتوجد فيها (مدينة الجزائر) كتب الأندلس كثيرا...»⁷.

-
- 1- أبو الحسن علي التمعروطي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تح: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2007م، ص139.
 - 2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص16.
 - 3- المرجع نفسه، ج5، ص326.
 - 4- نفسه، ج1، صص292-293.
 - 5- أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهداني، تح وتق: المهدي الوعيد، مطبعة البعث، قسنطينة - الجزائر، (د ت)، ص59.
 - 6- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص289.
 - 7- التمعروطي: مصدر سابق، ص139.

وقد ذكر "ابن المفتي" أن الجامع الكبير على عهدده وجد به حوالي ثلاثمائة مجلد، وتجدر الإشارة هنا بأن معظم الكتب الموجودة في هذه المكتبات كانت كتباً دينية في التفسير والحديث والفقه وغيرها¹، وهذا بحكم أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية أكثر منها أدبية أو علمية، كما أن الهدف من ذكر هذه المراكز هو إبراز الدور الذي قامت به من أجل خدمة الدين و الثقافة².

4. الأوقاف (الوقف الثقافي):

إن الوقف نظام إسلامي عريق، عرفته المجتمعات الإسلامية من فترة مبكرة من تاريخها إذ أنه يشكل مؤسسة إجتماعية في غاية الأهمية، دأبت على تقديم خدمات جليلة للمجتمع سواء في مجال الرعاية الصحية والتعليمية، وإسعاف الفقراء والمساكين والغرباء أو الإهتمام بالمنشآت الدينية أوفداء الأسرى كما كان له الدور البارز في الحياة الإقتصادية الزراعية والحرفية.

1.4. تعريفه:

الوقف³ هو الحبس أو المنع والإمساك عن الإستهلاك أو البيع أو وسائل التصرفات والمكث بالشئ عن كل ذلك، وهو أيضا إمساك المنافع والعوائد ومنعها عن كل أحد غير ما أمسكت أو وقفت عليه⁴.

1- عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، ص 105.

2- رشيدة شكري معمر: "المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518 - 1830م"، مجلة معارض، ع20، جامعة البويرة - الجزائر، السنة الحادية عشر جوان 2016م، ص 104.

3 - الوقف: كذلك حبس العين عن التصرفات التملكية مع بقائها على ملك الواقف والتبرع اللازم بريعتها على جهة من جهات البر، ينظر خالد رمول: الإطار القانوني والتنظيمي للأموال الوقف في الجزائر، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 26.

4 - عبيد بوداود: الوقف في المغرب الإسلامي بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م) ودوره في الحياة الإقتصادية و الاجتماعية والثقافية، ط1، دار الرشد، الجزائر، 2011م، ص ص41،40،5.

2.4. إنتشاره في الجزائر على العهد العثماني:

إنتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبر حواضرها وأريافها، إذ يعتبر الوقف أو الحبوس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم الأصلية و يعتبر من الصدقات الجارية بإجماع الفقهاء والعلماء، أما عن مصدر هذه الأوقاف فهي عبارة عن ممتلكات للعامّة من الطبقة الغنية أو متوسطي الحال، يوقفونها أثناء حياتهم لصالح الأوقاف من باب البر والإحسان والعناية بالمنشآت الدينية ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وقد تطور خاصة في العهد العثماني ليشمل الأملاك العقارية¹ والأراضي الزراعية من بساتين وحدائق ودكاكين وأفران الخبز والأسواق وغير ذلك، ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة، ففي غالب الأحيان كان القاضي هو من يقوم بكتابته بصيغة معينة وبحضور الواقف والشهود مع تحديد قيمة الوقف، وتعيين أغراضه وكيفية الإستفادة منه، فالوكيل هو المشرف الرئيسي عليه والمشرف على تطبيق الوقفية وإستخدامه في الأوجه الخيرية، وقد لعبت مداخله دورا كبيرا في تحسين الحياة الإجتماعية والثقافية وتمويل المؤسسات التعليمية والعناية بالعلم والعلماء والطلبة².

فالوقف عبارة عن تعبير عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وعن تضامنه مع المجتمع الإسلامي و تظهر أهميته في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية³، حيث كانت الأوقاف عامة بمدينة الجزائر للجميع دون تفریق بين جنس أو طبقة أو مذهب لذلك كان منهم الرجال والنساء والعثمانيين والحضر و الأحناف و المالكية، ومثال هذا نذكر من أقدم الواقفين العثمانيين وهو "خير الدين بربروس" وخادمه الذي أعتقه "عبد الله ضفر" و الذي قام ببناء الجامع المعروف بجامع "سفير"، والباشوات الذين إشتهروا بالوقف على المساجد و المدارس ونحوها "الحاج محمد بن محمود محمد بن بكير" و"محمد بكداش"

1- حنيفي هلالي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 196.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 227. أنظر كذلك: نصر الدين براهيم: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات الأبيار، الجزائر، 2010م، ص113.

3- سعاد فويال: المرجع السابق، ص 22.

الذي بنى زاوية الأشرف¹، فقد كانوا حريصون على رعاية أملاك الوقف وضمان إستمرار خدمتها فوضعت لها دفاتر للحفاظ عليها من الضياع، ولها موظفين للإشراف على نموها، وقد إتخذت تنظيمات الأوقاف شكل إدارة محلية خاصة وجهاز إدارة مستقل محدد الصلاحيات، يتميز بمهارة المشرفين عليه وكفاءة القائمين به فالتصرف في شؤون الأوقاف وإتخاذ الإجراءات العملية المتعلقة بها، كانت تعود إلى المجلس العلمي الذي ينعقد للبحث فيها عادة كل خميس من كل أسبوع في الجامع الكبير، وذلك بحضور المفتي المالكي والحنفي وبعض الموظفين كوكيل بيت المال وشيخ البلد، وللمجلس العلمي صلاحيات مختلفة في التصرف في شؤون الأوقاف ومراقبة الموظفين القائمين عليه كالشيخ الناظر أو المتولي أو الوكيل العام²، فالوكيل أو الناظر هو المشرف الرئيسي عليه وهو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط، وهو المسؤول على تنمية الوقف وإستعماله في الأوجه المعينة له، أما الباشا أو الباي في الإقليم هو الذي يعين الوكيل، وفق موصفات معينة كالأخلاق والنزاهة....، أما إذا كان الوقف في عائلة ولي صالح فالوكالة تضل وراثية في أبناءه وإذا أستعمل الوقف في غير وجهة تدخل الباشا أو الباي لتتحيته³.

كانت مؤسسة الأوقاف كثيرة ومتنوعة تعدد بتعدد الأهداف والخدمات الثقافية والاجتماعية، والتي عرفت تنظيما محكما تمثلت في المؤسسات الدينية التي يعود إليها الوقف ونذكر من بينها: أوقاف الحرمين الشريفين، أوقاف سبل الخيرات، مؤسسة أوقاف بيت المال⁴، ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم، إلى جانب مساهمات السكان الوقفية لصالح الزوايا والمساجد والمدارس التعليمية ومؤسسة أوقاف الجند والثكنات وأوقاف

1- يحي بوعزيز: تاريخ قسنطينة، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص 64 وأنظر كذلك أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 235.

2- ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجبابة في الفترة الحديث، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2001م، ص ص 236-237.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 229.

4- أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق، ص 49.

الزوايا، بإضافة إلى إسهامات النساء كن يشركن في الوقف أيضا، فأخت "خضر باشا" مثلا قد أوقفت على جامع أخيها بعد وفاته، والسيدة "مريم" وهي من عائلة أندلسية قد أوقفت على الجامع المعروف بإسمها جامع السيدة "مريم"¹.

لقد عرفت الأوقاف إنتشارا كبيرا في العهد العثماني، كما عرفت إقبالا واسعا شمل جميع شرائح المجتمع، حيث يرجع ذلك إلى إهتمام الحكام ومختلف الفئات الإجتماعية بهذا النظام الخيري.

لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على الفقراء والمحتاجين، كما ساعد الوقف كذلك بعض حكام الجزائر أن يجدوا حلولا ملائمة لتسيير بعض المرافق وتوفير الصيانة لها وذلك من خلال عوائده.

III. التعليم ورجاله:

كانت حركة الثقافة بالجزائر قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر تتركز في ثلاثة حواضر أساسية هي تلمسان وبجاية وقسنطينة، بالإضافة إلى بعض الحواضر الصغرى، وقد إنتشر التعليم بالجزائر خلال بداية التواجد العثماني إنتشارا طيبا حتى غطى المدينة والقرية والجبل، وفي هذا الجزء سنتناول التعليم من نواحيه العلمية والفنية المحضة والوسائل التي أستعملت لتنفيذه والمناهج التي أتبعت في التدريس وبعض رجاله.

1. سياسة التعليم:

عرف العهد العثماني في الجزائر ركودا ثقافيا²، شأنه شأن حال البلاد العربية فمنذ البداية لم يكن للدولة سياسة تعليمية واضحة، ولم يكن بالجزائر وزير لشؤون التعليم أو وزير لشؤون التعليم العالي ولا مدير أو وكيل ليقوم بالوظائف الرسمية وبالتالي لم توجد هناك حركات تجديد فكرية، ولا انتفاضات علمية فردية تحاول مواكبة التطورات الحاصلة

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص236-237.

2-SHAW: Voyage dans la régence d'Alger, trad. de l'anglais par Carthy 2eme ed Bouslama, Turis, 1980, pp. 84-85.

في الغرب¹، وكانت هموم الدولة أو السلطة منشغلة بالمحافظة على الإستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب، ولم تكن هذه المداخل تستعمل في نشر التعليم وتنميته ونشر الثقافة، بل في تسديد أجور الجنود كثيري التمردات والثورات²، وبهذا كان للسلطة سياسة وهي عدم التدخل في شؤون التعليم إذ أن رجالها كانوا يرون أنهم رجال حرب وإدارة أكثر من كونهم رجال علم وثقافة³.

لكن الغالبية من المؤرخين الذين تميزوا بالدراسات المعمقة للأوضاع الثقافية العربية عموما والجزائرية خصوصا في الفترة العثمانية وبالتحديد في القرنين الأولين للعهد العثماني، يؤكدون أن العثمانيين ليسوا مسؤولين عن تدهور الثقافة الإسلامية وأن دروس الجوامع الكبيرة كانت تضاهي بل تفوق أحيانا الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين⁴.

كانت سياسة التعليم بالجزائر العثمانية تقوم بالدرجة الأولى على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية⁵، وكان الإنسان المتعلم يحظى بالإحترام والتقدير، للعلم الذي يسعى إلى تقديمه، خصوصا ما تعلق بمعرفة أمور الدين و الفرائض وقسمة التركات أو لأغراض تجارية من أجل معرفة الحساب في معاملات البيع والشراء وغير ذلك. لكن مهنة التعليم لم تكن من المهن المرغوب فيها لأنها مهنة غير مريحة مما جعل بعض المدرسين يتجهون نحو التجارة⁶.

1- محمد الطيبي: الجزائر عشية الغزو الإحتلالي، دراسة في الذهنيات والبيانات والمآلات، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2002م، ص 139.

2- المبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة العربية الجزائرية، الجزائر، 1964م، ص 193. أنظر كذلك: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص313-314.

3- محمد بن يوسف الزباني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، نق وتبع: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص33.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص ص 273-274.

5 - مختار حساني: التراث الجزائري المخطوط، ج 2، المرجع السابق، ص 214.

6 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 19.

رغم كل هذا فنجد الخط البياني للثقافة في الجزائر كان يسير في حالة إطراد وصعود فبعد النزاع السياسي الكبير، الذي عانت منه الثقافة في الجزائر في القرن (16م) الذي شهد هجرة العلماء المسلمين وكثرة الحروب، أخذت الحياة تدب في القرن الحادي عشر هجري و إستقرار الأوضاع وتوارد العلماء المسلمين على الجزائر و وفرة الكتب¹.

حيث نجد "ابن ميمون" في كتابه التحفة المرضية يصور لنا بدقة الحياة العلمية في العهد العثماني حيث يقول: «...إنما نقصد العلم المنقول أو الحركة الدينية...» كما يذكر الباحث "محمد بن الكريم": « إن مفهوم العلم في ذلك العصر، قد كان إتقانا لفهم الدين الحكيم، وحفظا لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة الأصول أما فن المنطق قد جرى فيه خلاف بين العلماء لأنه يمد إلى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء وحذروا تلميذتهم أن يتعلموها...»²، وقد حاول "عبد الكريم الفكون" صاحب كتاب (مفتاح الهداية)، الثورة على الجمود الفكري لأن فقهاء الجزائر خلال القرن الأول من التواجد العثماني نادوا بتقديم الإجتهد العقلي الدراية على تقليد الرواية، فقد كانوا يرددون أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظا سطحيا لا عقل ولا تفكير فيه، ويتظاهرون بالحفظ وقوة الحافظة³.

ويمكن أن نفر مع "أبو القاسم سعد الله" أن مسألة الإهتمام بالتعليم من قبل العثمانيين كانت غائية، كون أغلب العثمانيين خاصة الجنود الإنكشارية وبعض رجال الدولة كانوا عزابا وفي جملتهم دون أطفال، فلم يتحمسوا لقضية التعليم كما أن أغلبهم حديثي العهد بالإسلام ناهيك عن سوء الأوضاع السياسية والمواجهات العسكرية ضد المسحيين الإسبان، ومهما ذكرنا إهمال العثمانيين للتعليم وسوء الأوضاع الإقتصادية والسياسية، إلا أن الأسر الجزائرية لم تفرط في التعليم وتحملت أعباءه، فرغم الفقر كانوا

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص19-20.

2- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص ص 46-47.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص 10.

حرصين على تعليم أبنائهم إمتثالا لحث الدين على التعليم ولكون الإنسان المتعلم يحظى بالتقدير للعلم الذي يدرسه¹.

لاحظ "سعد الله" وجود شبه سياسة عثمانية في تبادل الأساتذة مع البلاد الإسلامية فقد سمحوا لعلماء من غير الجزائريين بإستيطان الجزائر والتدريس والتوظيف فيها، كما سمحوا لعلماء الجزائر وطلبتها بنشدها المعاهد الإسلامية خارج الجزائر و حتى مع البلاد التي كانت بينهم توترات سياسية، ويعتقد أن هذا التسامح في تبادل الخبرات يعود إلى عقيدة العثمانيين إتجاه الدين ورجاله².

لكن رغم ما ذكر من السلبيات السابقة، فإن نسبة الأمية كانت ضئيلة بين مجموع السكان وهذا بشهادة الرحالة الأوربيون³، الذين زاروا الجزائر خلال القرون الأولى من العهد العثماني، إذ أكدوا أن التعليم كان منتشرا بشكل كبير وقلما وجد من لا يجيد القراءة والكتابة، كذلك لم تمنع من بروز أدباء ومؤرخين كبار ونحن نتحدث عن أمثال "عبد الكريم الفكون" و"المقري" و"البوني"، و"قدورة" و"عمر الوزان"⁴.

ومما سبق ندرك أنه لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة للتعليم ولا خطة رسمية لتشجيعه والعناية به وتطوير وتوجيهه، إلا بعض المبادرات الفردية للحكام بدافع ديني أو شخصي، وهذا يوضح لنا سياسة العثمانيين في الجزائر وهي عدم التدخل في شؤون التعليم كأن إنتشر أو تقلص.

2. وسائل التعليم:

لم تكن للجزائر وسائل حديثة للتدريس ولم تكن لها مؤسسات رسمية مكلفة بهذا القطاع، بل ترك الميدان مفتوحا للأفراد والجماعات يقيمون ما يشاؤون من مؤسسات دينية أو تعليمية بوسائل بسيطة، إذ اعتاد أهل البلدة إدخال أولادهم للكتاب في سن مبكرة للتعلم

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 314 - 315.

2- المرجع نفسه، ص 320.

3- الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993م، ص33.

4- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الإحتلال، (ط.خ)، دار الرائد، الجزائر، 2009م، ص162.

حتى يعهد به والده إلى إمام المسجد وكان التدريس بطريقة بسيطة، فقد كان يجلس الشيخ في ردهة المسجد وحوله التلاميذ في شكل حلقة حاملين معهم الألواح والكتب¹، وكان وقت التدريس موزع على حصص فهناك حصة مخصصة للإستظهار وأخرى لإلقاء الدروس والثالثة يستغلها التلاميذ للمراجعة، ولم تكن مدة التعليم محددة فمتى حصل الطالب على الإجازة²، أمكنه المغادرة ليزاول نشاطه كمدرس ومعلم للقرآن، أو يكمل تحصيله العلمي في أماكن أخرى، ليكون ناشر للعلم بين الناس بلسانه وكتابه وآرائه وسلوكه ومن الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم، كونه يعتبر المثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة، وهناك درجتان للمعلم فإن كان يباشر التعليم للفتيان إلى أن يبلغ الطفل سن العشرين ونحو ذلك فيطلق عليه إسم المدرس أو المعلم، وهو أستاذ أو شيخ إذا كان يدرس لما فوق ذلك من الأعمار من المستويات³، أما في المدن فقد كان الوقف أو أهل الحي هم الذين يختارون مؤدب الصبيان، وأحيانا العائلة هي التي تختار المؤدب الذي يدرس لها أطفالها، وتخص بهذا البنات أكثر من الأولاد.

كانت بعض العائلات تفضل أن يكون من أهل الأندلس أو من الشرفاء ونحو ذلك، وقد يشترطون فيه الأخلاق الحسنة والزواج ومن الطبيعي أن يكون حافظا للقرآن معروفا بأداء الصلوات وأنه يكتب ويقرأ الرسائل⁴، ويوجد هناك نوعان من المعلمون معلموا المدن ومعلموا الأرياف، ولا يوجد هنالك إختلاف كبير بين مؤدب الريف ومؤدب المدينة،

1- كان لكل تلميذ لوحته الخشبية الخاصة به حتى تسهل عليه كتابة القرآن فيها، ومحاورحروف منها، وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية والسور، وبعد أن يحفظها يرتلها على مسامع الشيخ الجالس أمامه على حصير. أنظر: عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر تتشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص 272.

2- الإجازة: هي إذن من الشيخ لطالب علم أو عالم آخر في رواية الحديث الشريف أو الفقه أو غيرها من العلوم، وهي ما يقابل اليوم الشهادات العلمية التي تؤهل حامله لتدريس الفقه أو المنطق أو علم من العلوم الكثيرة. أنظر: فوزية لزغم: الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518 - 1830م)، مخبر المخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2009م، ص ص 15-17.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص322.

4- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص 163.

فالإختلاف يكمن في بعض الأمور وبعض الشؤون، كون سكان الريف يستعينون بالمؤدب في شؤون الدين كأن يفتي لهم في بعض الأمور والقضايا الحساسة أو يستعينون به في كتابة بعض العقود كعقود البيع والشراء، كما يعتبرونه في بعض الأحيان بمثابة القاضي ليفصل في خصوماتهم ونزاعاتهم عند الفتن والمشاكل الإقتصادية والاجتماعية.

وكان إحتكاك المعلمين بالسكان قد ولد رابطة وصلة قوية مع الأهالي عكس مؤدب المدينة، وهنا يكمن الإختلاف بين مؤدب المدينة ومؤدب الريف، وكان مصدر هذه التسمية من قبل الباشوات أو البايات، وكان من يتحصل على هذه التسمية يعتبر من المحظوظين لأن التسمية رسمية تضمن للمدرس أو المعلم أجرا ثابتا من الأوقاف والهدايا، وتضمن له أيضا جزءا من الغنائم ونحوها، مما أوجد روح التنافس وجعل بعض رجال الدين يجمعون التدريس إلى وظائفهم الرسمية كالإفتاء والقضاء، وفي هذا الحال يصبحون هم كبار الأساتذة في البلاد لأنهم يتمتعون بالخبرة في المسائل العلمية، وبذلك يصبح التعليم الذي ينشرونه وسيلة من الوسائل التي تقود إلى التعليم العالي، ومن خلال هذا التنافس تنتج حركة تعليمية مفيدة نوعا ما، إذا يجد الطلاب وسائل عديدة للتعليم وذلك في مجال إختيارهم. حيث كان بالجامع الكبير بالعاصمة حوالي تسعة عشر أستاذ ومدرسا، وكان هؤلاء الأساتذة بمثابة وسائل الدعم للقيام بحركة نشيطة في التعليم بشكل خاص وفي مراكز التعليم بشكل عام¹.

ومن أهم وسائل التعليم أيضا نجد الكتب والمكتبات، كما أشرنا سابقا، إذ تشير المصادر أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت تحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات خاصة في القرن (16م)، والتي كانت من إنتاج محلي أو وصلت من بلدان إسلامية بالإضافة إلى حواضر الغرب مثل تلمسان ومعسكر، ومازونة، وكذلك كتب

1 - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: لسان القال في النبأ عن النسب والحسب والمال، تح وتق: أبو القاسم سعد الله، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص ص24-25.

الرحالة والتي حوتها قسنطينة والجزائر¹:... إلخ، ولا ننسى دور الوقف في هذه الإنتشار ولهذا زاد عدد المكتبات والكتب بالجزائر العثمانية².

وقد كانت الدكاكين التجارية مراكز علمية وذلك من خلال التجمعات الليلية للطلبة أو بعض فئات المجتمع، حيث يتم فيه فتح باب النقاش وتبادل مختلف المعارف، وحتى بيوت العلماء كانت هي الأخرى من وسائل التعليم إذ كانت أماكن لملتقى الطلبة لتلقي مختلف الدروس، دون أن ننسى النوادي المنزلية والتي كانت تقام في بيوت البايات والدايات والقضاة وباقي أعيان البلاد³.

3. مراحل التعليم ومناهجه:

كانت مناهج التعليم في الطور الابتدائي في الجزائر خلال العهد العثماني، بسيطة ببساطة التعليم نفسه، فقد كان التلاميذ يجلسون متربعين على الحصير يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة ويبد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة كما ذكرنا سابقا، يقوم بعرض ما كتبه وحفظه على اللوحة على مسامع المعلم بصوت عالي إلى أن يشير له بالتوقف عندما يدرك أن ما كتبه وحفظه يكفي، ويكون ذلك بحسب مستواه وسنه، وعندما ينتهي التلميذ من مرحلة الإملاء يتراجع ويأخذ مكانه في الحلقة، وعندما ينتهي الجميع من الكتابة يتحلقون حول المؤدب ويشرعون في قراءة الدرس القديم استعدادا لإستظهاره ومحوه في الصباح، وهكذا يبقى التلميذ على هذا المنهج إلى أن يأتي على القرآن كله كتابة وحفظا، وكان الأطفال يستعملون "السمق" الأسود المستخرج من صوف الضأن والمصبوب بعد حرقه في الدواة، أما العطلة فكانت يومي الإثنين والجمعة⁴.

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص ص287-287.

3 - يمينة درياس: السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص201.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 332.

4 - المرجع نفسه، ص322.

وكان التلاميذ في هذه المرحلة يتعرضون لبعض العقوبات والذي يتعرض لها دائماً العاصي أو المتمرّد، فيبدأ المؤدّب بتأنيبه بالكلام أو بالضرب على يديه أو ضربه على رجليه، وأغلب الأباء كانوا يرضون بتصرف المؤدّب وطريقة عقابه لأنهم كانوا يثقون به كامل الثقة، وإذا تكررت العملية لعدة مرات يتم إعفائه من المهمة، وبعد أن ينتهي التلميذ من هذه الأخيرة ويختم القرآن، يبدأ مرحلة أخرى بتعلم مبادئ الحساب وقواعد الدين، وكذا حفظ بعض المتون التي ستكون أساس تعلمه الثانوي، أما في التعليم الثانوي فمنهاجه يختلف عن التعليم الابتدائي، فالطالب في غالب الأحيان يترك بلده وأهله لمتابعة دراسته ليلتحق بالمسجد أو المدرسة أو الزاوية التي سيكمل بها دراسته المتوسطة والثانوية، وفي غالب الأحيان توفر الزاوية المسكن والمأكل للطالب خاصة إذا كان فقيراً و كل هذا حسب إمكانية الوقف¹.

فكلما كانت مداخل الوقف كبيرة وفرت الزاوية للطالب أحسن المرافق²، وفي هذه المرحلة يجد الطالب حوله مجموعة من المدرسين كل مدرس يتناول مسألة أو كتاباً، فيختار الطالب الشيخ الذي يدرس المادة التي يريد دراستها، وإن لم يختار يجلس بجانب المدرسين عدة مرات ليختار من يريد أن يتلمذ على يده، وكان للمدرس كامل الحرية في البرنامج والمنهاج الدراسي³.

تجدر الإشارة أن العلماء كانوا يهتمون بالرواية إهتماماً كبيراً، حيث غلب النقل على العقل وكانوا يدرسون الشروحات كشرح "ابن خليل" والرسالة" و"ابن الحاجب" وغير ذلك. كان بعض المدرسون يفضل تدريس مادة معينة، وبعضهم الآخر إشتهر بتدريس عدة علوم ومن أشهر المدرسين في مدينة الجزائر "سعيد قدورة" (العلوم الدينية) و"عبد الكريم الفكون" الذي إشتهر بعلوم النحو و الصرف والبلاغة، كما إشتهرت بعض المدارس

1 - عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 231.

2 - سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 41.

3 - أحمد توفيق المدني: محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص 173.

بعلوم ميزتها كمدرسة مازونة التي اشتهرت بالفقه، وبهذا إقتصرت العلوم المدروسة ببرامج الثانوي والعالي، على العلوم الدينية و اللغوية وبعض كتب السيرة والتاريخ واللغة العربية والمنطق والميتافيزيقيا، في حين تقلصت العلوم التجريبية كالطب، إذ لم يوجد هناك مدرس عرف بتدريس الطب مثل ما كان مدرسو تلمسان أيام بني زيان، كما تقلص علم الفلك والرياضيات والحساب، فقد كان عدد مدرسي هذه العلوم قليل مقارنة بالعلوم الأخرى، فالفلك مثلا كان يدرس لمعرفة الزوال و أوقات الصلاة والهلال ونحوذلك وليس للملاحظة ونحوها¹.

ومن العلوم الدينية الشائعة والتي كانت تدرس في كل جلسة تفسير القرآن الكريم كتفسير "الثعالبي" و تفسير "السيوطي"، وأصول الفقه و أصول الدين و الفقه المالكي و دراسة الحديث الشريف خصوصا (صحيح البخاري)، وعلوم التوحيد والتصوف، أما العلوم اللغوية فنذكر منها الصرف مثل (لامية ابن مالك) في التصريف والبلاغة والسير والأخبار والأدب²، وبمجرد إنهاء الطالب لدراسته يحصل على الإجازة، وهي نوعان مكتوبة وشفوية³.

IV. العلوم وأنواعها:

تنوعت العلوم في العهد العثماني تدريسا ومدارسة، ولكنها كانت أغلبها تدور في العلوم الدينية واللغوية والتصوف وقليل من العلوم العقلية ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. العلوم الشرعية:

ونقصد بها الدراسات القرآنية كالتفسير والقراءات ورواية الحديث ودرايته بما في ذلك الإثبات والإجازات الفقهية و العبادات والمعاملات كالنوازل، وقد غلب على إنتاج الجزائر خلال العهد العثماني العلوم الشرعية و الصوفية و المجالات الأدبية، وكانت

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص354.

2- محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص 62.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 348.

تعتمد على التكرار والتقليد والحفظ فالفقهاء قل ما إجتهدو بأرائهم، بل كانوا يقلدون سابقهم تقليدًا يكاد يكون أعمى، فإذا ما حاول أحدهم أن يشذ عن هذا التيار أقام عليه الدنيا وأقعدوها، واجتمع عليه المجلس الشرعي لعزله من وظيفته، أما أسوء الأحوال فالحكم عليه بالتكفير والزندقة، ومع ذلك حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار منهم "عبد الكريم الفكون" في القرن (11هـ/17م)، فظاهرة التقليد كانت مسؤولة عن ندرة الإنتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة واسعة وعميقة كالتفسير والحديث¹ وسنتطرق لكل علم على حدى.

1.1.1. الفقه:

فهو فهم الأحكام الدينية جميعا سواء كانت إعتقادية أو علمية²، وعندما نتحدث عن الفقه في الجزائر نذكر المذهب المالكي والحنفي الذي إنتشر مع قدوم العثمانيين، فقد كان في الجزائر يعين مفتي حنفي بالنسبة للأتراك و آخر مالكي لبقية السكان، ومن أشهر من برز في الفقه الحنفي عائلة "إبن العنابي" و"عبد القادر الراشدي" وفي المالكي "أحمد العقباني" و"إبن مرزوق" و"المغلي"³، ولم يستطع أحد أن يألّف عملا مثل (الجواهر الحسان) للثعالبي، وكثرت الشروح الفقهية وخاصة (شرح ابن الخليل) ومعظمها في المذهب المالكي (شروح، تعاليق، حواشي)، وألّف في ذلك بعض العلماء أمثال "عبد العزيز الثميني" و"أحمد البوني" و"عبد الرحمان الأخضرى"⁴.

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص09.

2 - عبد الرحمان بن محمد إبن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1988م، ص 563.

3 - صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي الى غاية الإستقلال، ج1، دار إديكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص558.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص ص 09-10.

2.1. التفسير:

يحتاج المفسر إلى ثقافة دينية ولغوية لكي يقدم عمله وهذا لم يتوفر في الجزائر فمجال الثقافة كان محدودا، ومن بين الذين شغلوا بها "محمد بن علي أبهلول" و"ابن لؤلؤ التلمساني" و"سعيد قدورة" و"عبد القادر الراشدي القسنطيني"، ومن الطبيعي أن نقول أنه ليس كل من تناول التفسير أجاد أو جدد فيه، ذلك أن ظاهرة التقليد كما ذكرنا سابقا كانت مسيطرة على العلماء في جميع الميادين¹.

من جهة أخرى فإن الوثائق تعوزنا في الوقت الراهن عن الطريقة التي كان يستعملها أمثال: "أبهلول الراشدي" أثناء درس التفسير، فقد أورد "سعيد قدورة" أن شيخه أبهلول يفسر بلسان ولايسجل بالقلم، والدليل على من ترجموا له لم يتحدثوا عن كتب له ولم نجد مؤلفاً في تلمسان إلا "أحمد الونشريسي" ووجد كذلك كتاب (كنز الأسرار في تفسير القرآن الكريم) "لمحمد علي الخروبي" وكتاب (المحاكمات) "لأبي حيان" والزمخشري "للشيخ يحي الشاوي"².

3.1. الحديث:

إعتنى الجزائريون بعلم الحديث تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة ولاشك في أن ذلك يعود إلى صلة علم الحديث بالدين وبالتصوف معا، كون علم الحديث يعتمد على حد كبير على الحفظ وهم حفظة مهرة إشتهروا كثيرا بذلك منذ القدم، وقد فاقت عنايتهم (صحيح البخاري) فهو الكتاب الذي كان متداولاً لديهم أكثر من غيره، وقد بلغ عندهم مبلغا كبيرا فكتبوا عليه الشروح والحواشي³.

برز في هذا العلم العديد من الأئمة كانت شهرتهم عالمية، تركوا فهارس في السند مازالت عند كثير من علماء الحديث كالعلامة الحافظ "أبي المهدي عيسى الثعالبي"

1 - صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 31.

2 - صالح فركوس: المرجع السابق، ص 527.

3 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، ج3، المرجع السابق، ص 186.

صاحب كتاب (كنز الرواية) وكان من الحفاظ العظام¹، حيث كان العمل عندهم بالستة يدرسونها ويحفظونها أحيانا، وكان يدرس في الجوامع الكبرى مثل الجامع الكبير بالعاصمة، حيث يروي أن ممليه كان "محمد بن سيدي الهادي" و"أحمد العمالي" والمفتي "الحاج الزروق" وغيرهم، وكان مختصر "أبي حمزة" (لصحيح البخاري) في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه ويقرب معانيه في عمله مثل (فتح الباري في ضبط ألفاظ الحديث) التي إختصرها "عبد الرحمن عبد القادر المجاجي"² ورغم ذلك فالتأليف في علم الحديث لم يكن يوازي الإهتمام الذي حضي به من حيث التدريس في حين كانت لديهم العديد من الأعمال الأخرى في السيرة النبوية عموما، وكانت جهود الجزائريين كبيرة في ميدان الإثبات والفهارس³.

2. العلوم النقلية:

1.2. علم الكلام:

ساد اللفظ للتعبير عن علم التوحيد والكلام معا، فكثرت التفاسير والشروح على عقائد السنوسي، وكانت تدرس كثيرا للطلبة حتى قال "سعد الله" رحمه الله «...كان الفكر الديني و الفلسفي قد تجمد عندها، ولم يعد قادرا على الخوض في مسائل التوحيد، إلا من خلال عقائد السنوسي...» ومن أهم من خاض في هذا الميدان "خليفة بن حسن القماري" و"يحيى الشاوي" و"محمد الترجمان"... إلخ⁴.

2.2. التصوف:

كثرت الدراسات الصوفية في العهد العثماني من (رسائل، مدائح، أذكار، أورد، مناقب، مواعظ، حكم، شروحات، منظومات) وماتعلق بالروحانيات⁵، فقد عكف الكثير

1 - المهدي البوعبدلي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 267.

2 - صالح فركوس: المرجع السابق، ص ص، 526-527.

3 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص، 186-187.

4 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص ص 91-93.

5 - المرجع نفسه، ص ص 69-73.

على دراسة وتدرّيس كتب "إبن سعد" (النجم الثاقب) وأعمال "محمد بن يوسف السنوسي" (الأنوار المنبجلة في الأسرار المنفرجة) وأعمال "الحويضي" و"أحمد بن يوسف الملياني"، وظلت كلها مصدرا للتدرّيس والتأليف فتناولها "إبن مريم" و"الفكون"¹... إلخ.

3.2. القراءات:

إشتهر فيها علماء منهم الشيخ "محمد بن صولة" و"محمد الحاج مناوي"، وكتب ابن الفكون في القراءات وكذلك "أحمد بن ثابت" (الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء) وكذلك "أحمد بن شقرون بن أحمد المغراوي" (تقريب النافع في الطرق العشر لنافع)².

4.2. الأدب:

سمحت الظروف السياسية و الاجتماعية التي أحاطت بالجزائر بعد توطد أركان الدولة العثمانية فيها، بتنمية قدرات بعض العلماء فيها يعرف بالحركة الأدبية خاصة الشعر، فقد إختلط الأدب بالتاريخ والتصوف³...، كما هو الحال عند "إبن قنفذ" أو ما إختلط بالتصوف و المدائح النبوية كما هو الحال عند "الحوضي" ومن جمع بين الأدب والفقہ كالمفتي "أحمد بن عمار" و"محمد بن ميمون" والشاعر "إبن علي محمد"، وهناك الرسائل والوصف والنثر والتقاريف والشروح الأدبية والرثاء والغزل والمديح...، وفي غالب الأحيان كان الشعر وليد المناسبات، على العموم فإن الحياة الفكرية والأدبية نجد فيها بعض المحاولات⁴ ولا تدل على نهضة ثقافية، ففي التأليف يذكر "أبو القاسم سعد الله" أن الجزائريين لم يألّفوا في علوم اللغة بل أنهم إهتموا بالنحو خصوصا وتركوا إنتاجا طيبا مثل "يحي بن معطي الزواوي"، وكانت مدرسة زاوية رائد النحو وعرف علماء

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص ص 112-114.

2 - المرجع نفسه، ص ص 24-25.

3 - نفسه، ص60.

4 - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الإحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م، ص 166.

الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح مثل "يحي الشاوي" و"عبد الكريم الفكون" و"محمد بن عامر الأخضرى البسكري".

بالنسبة للبيان والمعاني والعروض يذكر "أبو القاسم سعد الله" تنظيم "الأخضري" (الجوهر المكنون في علمي البيان والمعاني)، و أما عن البلاغة فنجد (تلخيص المفتاح) وغيرها، ونفس الشيء للعروض و"سعيد قدورة" (الرامزة الشفافة في علمي العروض والقافية)¹، وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني كذلك غني بالرسائل والتقارير² ولكن فقير في بعضها كالخطب والقصص، وكان من معرقلات الأدب كون الولاية والحكام لايفقهون العربية و لايتذوقون أدبها، أما بالنسبة للغة فيذكر أن مستوى الثقافة ضعيف بمنافسة اللغة التركية واللغات الأجنبية³، أما بالنسبة للشعر فقد تعددت مواضعه وبواعثه من شعر ديني صوفي كمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وشعر سياسي الذي نضم في مناسبات الجهاد ضد الأجانب والشعر الإجتماعي كالإخوانيات، بالإضافة إلى شعر التلغيز وشعر المزاح ومن اللذين برزوا في الشعر بمختلف أنواعه "عبد الكريم الفكون"، "ابن عمار"، "موسى بن علي اللاتي"، "العايشي المغربي"⁴.

3. العلوم العقلية:

إن دراسة الإنتاج العلمي خلال العهد العثماني بالمقارنة والقياس مع ما عرفه القرن التاسع هجري (15م) وجدناه قليل وضئيل، وبهذا نجد أن العلوم عرفت تقليدا يكاد يكون أعمى كما يقول "سعد الله" «...بل انهم لم يقلدوهم في الإبداع والإستقلال بالرأي في العلم والحياة، ولكن في السير في خطتهم دون وعي ودون إضافة أو تطبيق...»، وهنا يقصد العلماء المتقدمين الذين قلدوا بعض المتأخرين، وهكذا فالتقليد للرياضيات لم

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائرالتقافي، ج2، المرجع السابق، ص 169.

2 - التقارير: جاء في المعاجم التقارير يعنى مدح الإنسان وهوحي والثناء عليه ميتا، أنظر جمال الدين بن منصور: المرجع السابق، مج7، ص 45.

3 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص 173.

4 - عبد الله العياشي: هو عبد السلام عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي، 1628م، أبوه شيخ زاوية، تتلمذ على يد محمد ابن ناصر، توفى سنة 1653م بسبب الطاعون.... للمزيد أنظر: الرحلة العياشيه، تح وتوق: سعيد الفاضلي، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، 2006م، ص 29.

يكن "للخوارزمي" و "إبن الهيثم" ولكن "لإبن البنا"¹، فالحساب مثلا كان يدرس فقط لفهم العمليات الفرضية وتقسيم التركات والطب لم يدرس إلا لفهم الأحاديث النبوية الدالة على علم الأبدان، ولم يدرس الفلك إلا لتحديد أوقات الصلاة، أما الصيدلة فقد إختلقت بالفضول الإنساني أمام قوة الطبيعة في بعض الأعشاب و الحيوانات وسيطر السحر والشعوذة عليها في أغلب الأحيان².

1.3. الحساب وعلم الفلك:

عاش علماء الفلك والحساب على تراث القرن التاسع هجري (15م)، ولولا بعض الأعمال التي كتبها "عبد الرحمان الأخضرري" في كتابه (الدرة البيضاء)³ و"سحنون بن عثمان الونشريسي"، لم يعثر على عمل أووثائق تؤكد إشتغال الجزائريين خلال هذه الفترة بهذا العلم، أما في علم الجبر نجد "علي بن عبد القادر الجزائري"⁴، أما في علم الفلك وضع "عبد الرحمان الأخضرري" نظماً سماه (السراج في علم الفلك) و"ابن سحنون"، "عثمان محمد على السلاطي" و "الونشريسي"⁵.

بالإضافة كذلك "محمد بن أحمد الصخري" في مؤلفه (القلادة الجوهريّة في الصفيحة العجمية)، حيث ذكر "سعد الله" أن عمله موضوعيا وعلميا وليس عشوائيا⁶.

2.3. علم الطب:

لم يلقى هذا العلم العناية اللائقة به خلال العهد العثماني، ربما لإنصراف بعض العلماء عنه إلى دراسة العلوم النقلية، أو لجوء بعض الناس إلى التداوي بالأعشاب

1 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، المرجع السابق، ص ص 186-187.

2 - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 187.

3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 418.

4 - المرجع نفسه، ج2، ص 417.

5 - نفسه، ص 422.

6 - نفسه، ص 426.

الطبيعية، للمحافظة على الصحة أو التداوي بالحروز والكي والحجامة وكان الأطباء هم غالبا مرابطون يداونون بالجن والأرواح والشعوذة¹.

وقد وضعوا مجموعة من الصفات للتغلب على بعض الأمراض الشائعة كوجع الرأس والمعدة و الحروق و الطفح الجلدي وضعف الأعضاء التناسلية وكذا وجع المفاصل²، وبالرغم من إشتغال علماء المسلمين بالجراحة والصيدلة فإن أهل الجزائر بما في ذلك علماءهم لم يهتموا بهذا العلم³، بالإضافة الى قلة إهتمام الحكومة وحتى وإن وجدت مبادرات كانت لصالح الجيش، ففي (1550م) قام "خير الدين باشا" ببناء مركز صحي للجنود واستأجرت الحكومة فندقًا وحولته لمستشفى لعلاج "اليولداش" الى جانب بعض المصحات والملاجئ لأصحاب الأمراض العقلية⁴.

وقد عمد الحكام إلى جلب الأطباء الأوربيين لتقتهم فيهم تاركين العامة للطب الشعبي التقليدي، وأهم من ألف في الطب "الشيخ عبد اللطيف" في كتابه (المنهل الروي والمنهج السوي من الطب النبوي)، كما وضع "أحمد بن سحنون" قاموس في الطب وزاد عليه من كلام الأطباء حتى صار تأليفاً هاماً، وكذلك "محمد بن أحمد الشريف"⁵ بتأليفه رسالة في الطب سماها (المن والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى) ذكر فيها أهمية الطب النبوي وفضائله، وكذلك "أحمد بن القاسم البونوي" بتأليف له (أعلام القريحة في الأدوية الصحيحة) الذي خلط فيه الطب المعروف والطب الروحاني وتحدث فيه عن الأمراض وعلاجها وعن الأغذية ومنافعها⁶، وفي الأخير نستنتج أن الحياة العقلية في

1 - محمد بن عبد الكريم: حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ومطبعة الغريب، الجزائر، 1972م، ص101.

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص، 178-179.

3 - المرجع نفسه، ص340.

4 - حمدان خوجة: إتخاف المنصفين والأدباء في الإحتراز من الوباء، تح وتق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968م، ص 125.

5 - أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص147.

6 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع السابق، ص434.

هذا الزمن عرفت تراجعاً كبيراً بسبب إعتناء العلماء بالعلوم الشرعية والأدب والتاريخ والتصوف، ولكن إهتمامهم بتدوين الطب والحساب والفلك والهندسة وحتى الموسيقى، كان قليلاً جداً وإن كان فهولاً يخرج عن التقليد ولم يرقى إلى التجديد.

V. فئة العلماء ومناصبهم وعلاقتهم بالحكام:

1. فئة العلماء ومناصبهم:

1.1. فئة العلماء:

يعتبر العلماء هم الفئة المثقفة التي تعلم الناس وتوسع في شؤونهم الاجتماعية والفتوى والتي تحضى بالإحترام من قبل المجتمع ولذلك تخشى السلطة تأثيرهم على السكان فتسعى إلى تقريبهم، وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي، ويطلق على العالم من تفقه في الدين وبلغ مكانة متميزة من الفقه ومختلف العلوم الدينية واللغوية وهوما يؤهلهم لشغل وظائف القضاء ومجالس القضاء والإشراف على المراكز الدينية والتعليمية، ورئاسة الطرق الصوفية ونقابة الأشراف والافتاء...، وشملت أيضاً حتى الخطباء والوعاظ والمدرسون و المؤدبون وخدام الأضرحة، من خلال هذا العنصر سنركز على هذه الفئة ودورها في جميع الميادين.

شكلت فئة العلماء بالجزائر في هذه الفترة طبقة مميزة ومحترمة عن غيرهم في العالم الإسلامي، لهذا تقرب منهم رجال السلطة وخشوا من بأسهم وهذا لسيطرتهم على الأهالي نتيجة جهل الحكام، الأمر الذي مهد لظهور العلماء ليغطوا الفراغ كمشرعين ومفسرين، إذ أصبح شعارهم هو أنهم حماة الدين وشبهوا أنفسهم بأنهم مصابيح الظلام بينما لم يكن الأمر كذلك حين كان الحكام علماء والعلماء حكام¹.

كان الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية و التشريع الإسلامي هو الذي جعلهم كولاة وسلطين يتدخلون في شؤون الحكم من سياسية وإقتصاد وجيش وإدارة، تاركين القضايا الأخرى التي لها مساس مباشر بالدين

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 388.

في أيدي فئة أخرى هي فئة العلماء، وهكذا بدأوا في تطبيق القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية وهوما قصد به الأوربيون فصل الدين عن الدولة، وهكذا بدأ الفصل في تطبيق الأحكام في الدولة الإسلامية الواحدة.

حيث كان من المفروض أن ولايتها يمثلون الدين والدولة معا، وبهذا أصبح للحكام مجالهم الخاص في التنفيذ و أصبح للعلماء مجالهم الخاص بهم ، لذا كلمة العلماء تعني رجال الدين بالمعنى الأدق أرجال الشريعة لأن الحياة الفكرية كانت دينية صوفية في آن واحد¹، كانت فئة العلماء بالجزائر عربية بإستثناء القضاة والفقهاء المستقلين الذين لا صلة لهم بممارسة التصوف العلمي، والصنف الثاني من العلماء الذين غلب عليهم التصوف، أما الصنف الثالث فيمثل المتصوفة الذين كانوا يدعون العلم والدين ساعدتهم الظروف السياسية والإقتصادية على الظهور وإستغلال العامة²، ولم تطمح فئة العلماء إلى مناصب سياسية بل اكتفت بالمناصب العلمية والدينية، وبهذا اكتسبت فئة العلماء امتيازات بفضل توليها للتدريس والمهام القانون والشرعية، لكنها أساءت لنفسها ببحثها عن الغنى والمتعة، وما يمكن قوله حول هذه الفئة أنها تولت مناصب.

2.1. مناصبهم:

أولا/ الإفتاء: مما لا شك فيه أنها أعلى وظيفة يتولها العالم فهي تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه ونحو ذلك، كما تتطلب الصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، لأن المفتي هو المترجم للشريعة وهذا من خلال إصدار الفتاوى في الأمور الدينية، غير أنه بالرغم من هذا النفوذ لم يكن للعلماء سيطرة على الأمور السياسية لما كانوا يتمتعون به من نزاهة وقوة الشخصية³، ووظائف عديدة مثل التدريس ووكالة الأوقاف والإمامة والخطابة وغير ذلك

1- ابن ميمون: المصدر السابق، ص 48.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 481.

3- المرجع نفسه، ص 391.

من الوظائف، ولم يكن الإفتاء بالجزائر وظيفة رسمية إلا بعد قدوم العثمانيين الذين جعلوا الفتوى على مذهبين مذهب "الإمام مالك" و مذهب "الإمام أبي حنيفة" وهو المذهب الرسمي لأن سلاطين "آل عثمان" كانوا أحنافا، وهم الذين يعينون الباشا وكذلك القاضي الحنفي ويرسلونهما لتمثيلهم في الجزائر، وفي هذا الصدد نذكر من بين أشهر العائلات التي كانت تمارس الإفتاء عائلة "ابن العنابي" أما في الإفتاء المالكي فنخص الذكر "عائلة قدورة"¹.

ثانيا/ القضاء: وتعد الوظيفة الثانية في الأهمية بعد الإفتاء، وظلت وظيفة القاضي الحنفي هي الأساس وذلك منذ بداية العهد العثماني، لجمعها بين الوظيفة السياسية والدينية، وهذا وكانت ولاية القاضي غير محددة لأنها تعتمد على التنفيذ والممارسة بالدرجة الأولى، وبحكم اتصاله المباشر مع المجتمع ومشاكلهم اليومية التي لا تنتهي من خصومات حول عقود البيع والشراء، وعقود الزواج والطلاق، أو عقود الوقف والكرام وكل ما شابه ذلك، حيث كان البعض من الفقهاء يعتذرون عنها خوفا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقدير منهم لخطورتها²، وكان تحت هذين القاضيين (الحنفي والمالكي) مجموعة من القضاة المنتشرين في أنحاء الأقاليم، بالإضافة إلى ذلك كان هناك قضاة يتبعون الحملات العسكرية في الداخل والغزوات البحرية في الخارج وكانوا يسمون بقضاء العسكر، أما الإنكشارية فكان لهم قاضي خاص بهم³.

ثالثا/ الخطابة: وتأتي الخطابة بعد القضاء في المرتبة الثالثة، ومن بين الشروط التي لا بد أن تتوفر في الخطيب جودة الصوت وفصاحة اللسان والجرأة الأدبية، بما في ذلك سعة الإطلاع و أحيانا يعمل كإمام إذ يؤدي صلاة العيدين وبما في ذلك الصلوات الخمس، ولأهل الحي دور في إختيار هذا الأخير ليكون خطيب جامعهم، غير أنه رغم

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 259.

2- نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 213.

3- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد السلام إدريس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 107.

هذه الشروط نجد أن هناك من تولي هذا المنصب وهو جاهل به أمثال "أحمد بن حسن الغربي" و"محمد بن نعمون" و"أحمد أبو عكاز"، الذي تحدث عنهم "الفكون" في منشوره، وكان حكمه قاسيا عليهم إذ لم يترك وسيلة تشنيع وتعرية إلا ولجأ إليها، بل إنه التجأ في ذلك أيضا إلى الله يطلب تسليط أفسى العذاب على هؤلاء في الدنيا وفي الآخرة¹، وكان "للعياشي" موقف خاص أيضا حول الخطابة والإمامة، إذ تحدث في رحلته كيف أن هذه المناصب كانت تتال بالشرء، فإذا مات صاحبها دفع الراغب فيها مالا لتولي المنصب².

رابعاً/ الكُتَابُ: كان لهم مستوى ثقافي راقٍ، فقد كان أصحابه يكتبون للباشوات أخبارهم وأعمالهم من معاهدات ومفاوضات³.

خامساً/ التدريس: تنتشر هذه الوظيفة في الأرياف والمدن، ففي الريف يعينه أهل الحي أما في المدن فكان يعين من طرف الباشا، ومن بين المدرسين نذكر "سعيد المقرئ"، "سعيد قدورة" و"عمر الوزان" وغيرهم، ويمكن للمفتي أو الخطيب تولي التدريس والعكس غير صحيح⁴.

2. علاقة العلماء بالحكام:

كان العلماء على صلة دائمة بالناس فقد كانوا يمثلون الرأي العام⁵، من خلال مجالس الفتوى والقضاء وخطب الجمعة ونحو ذلك، ولهذا كان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما كانوا يثقون في رجال السياسة والحرب، وهذا ما جعل السلطة في بعض الأحيان تخشى هذه الفئة، غير أنه لم يكن في مقدورها الإستغناء عنها خاصة في مجالات الحكم كالإدارة وضمان ولاء الأهالي، ولهذا سعى العثمانيون للتقرب منهم خشية من بأسهم وفي نفس الوقت فإن العلماء بدورهم كانوا في حاجة إلى الحكام، رغبة منهم

1- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، المصدر السابق، ص 13.

2- أبوسالم عبد الله بن محمد العياشي: المصدر السابق، ص 21.

3- حمدان خوجة: المرأة تح: محمد العربي الزبيري، الوكالة الوطنية للنشر والاشهار (ANEP)، 1975م، ص 129.

4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 349.

5- محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص 47.

في الإرتقاء إلى مناصب ذات شأن أعلى وكذا جمع الأموال، وبهذا كانت العلاقة في الواقع علاقة مطردة، فإذا وقع نفور من أحد الطرفين أو معاملة غير جيدة، يعود ذلك إلى تصرف أحد الأفراد في فترة معينة وليس إلى العلاقة في حد ذاتها¹، هذا من جهة أخرى كان العلماء يتدخلون في شؤون الحاكم بطريقة غير مباشرة كأن يقوموا بالنصح والإرشاد وتوضيح ماهو ديني وماهو غير ديني، وكان العلماء يغتنمون الفرصة لكي يطرحوا قضاياهم الخاصة كحرمانهم من مال الأوقاف وسوء أحوالهم المادية، لأن الأوقاف كانت مصدرا ومكسبا لمعاشهم إضافة إلى الأجور الشهرية التي يدفعها السكان²، وكان بعض العلماء يستعمل الأشعار لطرح الفساد الاجتماعي وحرمانهم من حقوقهم بغية تحقيق الباشا للعدل الذي يعم الغني و الفقير، وكان بعض الباشاوات يتقربون من العلماء إما حب في الدين والعلم و إما طمعا في تأييدهم وإما حبا في المدح و الثناء، وبهذا كان الباشاوات لا يتقربون من العلماء إلا عند الحاجة القصوى، وقد عرفنا سابقا كيف أن طابع الحكام العثمانيين تميز بكونه إداري وحربي³، لذلك كانوا يقومون بحمايتهم سواء ماديا أو معنويا، لهذا حظي العلماء بمكانة خاصة عند الحكام وعملا بمبدأ ترضيتهم أسندت لهم معظم المناصب البسيطة في الإدارة، ففي المدن مثلا: نجد منهم القضاة والقائمين على المساجد، أما في الريف فقد كانوا يمثلون دور الوساطة بين السلطة والأهالي، وقد إتخذ الأتراك سياسة شرعية بحيث لم يرتبطوا بهم بروابط رسمية قد تهدد مصالحهم بل أحاطوهم بالإحترام.

وفي نفس الوقت إتخذوا الحيطة منهم، لأنهم كانوا يمثلون قوة فكرية وروحية مكنتهم من حل العديد من المشاكل، وربما يرجع هذا أيضا إلى النزعة السياسية التي كانوا يقصدون من ورائها الإستيلاء على قلوب الرعية، وفي هذا السياق نتحدث عن دور

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص ص 409-410.

2- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 138.

3- عمارة عمورة: الجزائر بواية التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 237.

الوساطة الذي أسندته السلطة للعلماء، حيث كانوا القوة الوحيدة التي تلجأ إليها لكسب طاعة الرعية خصوصا في المناطق الغير خاضعة كمنطقة القبائل، كما سعت السلطة أيضا إلى إستمالتهم لإستخدام نفوذهم الروحي في إستخلاص الضرائب التي كانت تلقى رفضا كبيرا من الأوساط الشعبية¹، كما لجأت إليهم السلطة أيضا في الأوقات الحرجة لتساعدهم في عمليات التجنيد خاصة أثناء الغارات الإسبانية على السواحل²، ومن ذلك نذكر الحكام الذي كانوا يهتمون بالتقرب من العلماء "يوسف باشا"³، فقد كان يعني المرابطين الأشراف من دفع الضرائب ويهادنهم ويكرمهم.

وهكذا نجد أن علاقة العلماء بالسلطة لم تكن واحدة، فيمكن أن نميز في بداية التواجد العثماني علاقة السلطة بالعلماء حيث أنهم باركوا الوجود العثماني وخدموه منذ البداية وحتى النهاية، أي أن الثقة كانت متبادلة بين الطرفين فعلى سبيل المثال: وبحسب أحد الروايات التي ذكرت أن "عروج" قد تحالف مع " أحمد يوسف الملياني " أحد أقطاب الطريقة الشاذلية من أجل بسط نفوذه في القطاع الغربي شريطة حمايته⁴.

لكن فيما بعد عارض العلماء المتصوفة هذا النهج الذي عمل به العثمانيون وإعتبروه تسلطا، حيث أشهروا في وجوههم في ما بعد المقاومة⁵.

3. هجرة العلماء:

منذ أواخر القرن (17م) إتصفت سياسة الحكام بمعاداة العلماء ومحاولة إخضاعهم وبهذا إتجهت سياسة الحكام إلى مد نفوذهم نحو الداخل، منتبحين في هذا أسلوبا يعتمد

1- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 120.

2 - أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر، المرجع السابق، ص 409.

3 - فايسست أوجين: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873م)، تح: صالح نور، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، 2010م، ص 129.

4 - أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1974م، ص 28.

5- عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1989م، ص 621.

على القوة وعدم مراعاة ظروف السكان وتجاهل رأي العلماء، والتحالف الذي سبق الإشارة إليه كان في البداية وبما أن العلماء قد شكلوا تهديدا عليهم فعملت السلطة على إبعادهم متخذة في ذلك عدة إجراءات، وبالتالي كانت هجرتهم إلى خارج القطر الجزائري وسنخص حديثنا هنا عن نوعين من الهجرة الخارجية (الهجرة المؤقتة والهجرة الدائمة)، فأما الأولى فقد كانت لطلب العلم أو مجاورة بيت الله الحرام أو التجارة، وأما الثانية فقد كانت أغلبها هروبا من الأوضاع غير المرضية، وسنعرف المزيد عن هذا من خلال ذكر بعض أسباب الهجرة التي كانت ترجع إلى عوامل (سياسية، إقتصادية، دينية، ثقافية) فقد هاجر بعض علماء الجزائر ولا سيما تلمسان ونواحيها إلى المغرب عقب إستيلاء العثمانيين على مملكة بني زيان¹، وهذا لعدم توفر ما يسمى بالإستقرار السياسي مما جعل العلماء لا يشعرون بالأمن والجو الملائم للإجتهد، لهذا هاجر العديد منهم مع عائلته تاركا دياره من أجل البحث عن سبيل أفضل للعيش، ومن أشهر من هاجر في تلك الظروف "أحمد الونشريسي" وبهجرتة هذه فقدت البلاد قطبا من أقطاب الحياة العلمية.

وترجع الهجرة أيضا إلى تقهقر العلاقة بين العلماء والسياسة العثمانية، التي بدأت تفرض سياسة ضريبية مجحفة في حق السكان هذا ما أدى على تأليب السكان ضدهم وعلى رأسهم العلماء²، ونتيجة لهذه الفتن التي كانت تعصف بالجزائر تراجعت بوادر الإنتاج الثقافي ومنه التعليم، خصوصا في المدن الرئيسية مثل تلمسان وقسنطينة وحتى الأرياف لم تسلم هي الأخرى من هذا التراجع الثقافي³، وفي هذا السياق أطل "عبد الكريم الفكون" الحديث عن رجال العلم وما كانوا يتعرضون له من فتن، وبهذا تراجع التعليم في العديد من المدن في شرقها وفي غربها، وهناك الرحلة العلمية والتي كان يهدف أصحابها

1- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 211.

2- أحمد بن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 442.

3- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص 32.

طلب العلم وزيارة البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج وفي نفس الوقت إغتنام فرصة للإحتكاك بالمشائخ هناك و الأخذ منهم كونها محط إلتقاء العديد من العلماء والطلبة¹.
يعتبر "سعيد المنداسي" من أبرز الشعراء المهاجرين للمغرب لأسباب سياسية فقد كان من الشعراء المهرة في الفصح والملاحون، وكذلك "عيسى الثعالبي" و"يحيى الشاوي" إلى المغرب، أما من هاجر إلى المشرق نذكر منهم "ابن الترجمان" و"أحمد الجزائري" و"أحمد بن عمار"... إلخ²، وتطول بنا القائمة لوحاولنا إستقصاء العلماء الذين هاجروا وقضوا حياتهم في المهجر غير أن بعضهم كان يعود إلى وطنه "كحمودة المقايسي" و"محمد الزجاي"... إلخ، بالإضافة إلى الأسباب السابقة نذكر كذلك كثرة الأوبئة والنكبات الطبيعية و إذا أضيف إلى عوامل السجن والنفي والإعدام والإبعاد عن الوظائف السياسية ونحوها، ومن ذلك ندرك بالضرورة أنه لم يكن جوا يساعد على الإستقرار والإنتاج الثقافي³.

ف نجد أن هجرة العلماء نتيجة لظروف داخلية وخارجية في فترة حرجة في الجزائر فقد كان عددا كبيرا من علماء الجزائر قد توجهوا نحو الدول العربية والإسلامية (المغربية أو المشرقية)⁴، كما ذكرنا نتائج السياسة العثمانية إتجاه العلماء، فيورد "أبو القاسم سعد الله" أن العلماء كانوا يقومون بالهجرة إلى خارج الجزائر بعد أن لاحظوا الفرق بين علماء المشرق وعلماء المغرب وكيفية معاملتهم، التي تبرز مدى عنايتهم بمشايخهم وعلمائهم والصالحين منهم⁵، وكذلك من بين الدوافع التي ساعدت على هجرة العلماء تولي مناصب ومكانة مميزة عند بعض السلاطين⁶، ونظرا لأمر الحكام وأحوال العصر هذا كان دافع

1- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، المصدر السابق، ص 09.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائري الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص 429-431.

3- المرجع نفسه، ص ص 432-433.

4- أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1832م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص 25.

5- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 439.

6- أرزقي شويتام: مرجع سابق، ص 324.

وراء الهجرة والإكتفاء بالتراجع، لندرك مدى الخسارة التي منيت بها الثقافة الإسلامية في الجزائر بعد هجرة علمائها¹.

VI. المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر بداية العهد العثماني :

1. التصوف بداية التواجد العثماني في الجزائر:

الصوفية من الجماعات الدينية الكبرى التي لعبت دورا بارزا وحساسا في الجزائر العثمانية، فقد تركت أثر كبير على البنية الثقافية وآثار هذه الفئة باقية إلى يومنا هذا، وهي إتجاه ديني منتسب إلى عقيدة الإسلام منها المعتدلون ومنها المتعصبون والمتشددون، فمنذ القرن (15م)² وبعد تأزم الأوضاع السياسية وانتشار الفساد عرفت الحركة الصوفية تطورا مفاجئا، إذ أسسها أتباع المرابطين بالأرياف زوايا سهلت إنتشار الطرق الصوفية ليبرز بذلك التصوف بشكل كبير وواضح بداية القرن (16م)، وعن ماهية التصوف يورد "القشيري" رحمه الله بقوله: «... لا يشهد لهذا الإسم إشتقاق ولا قياس من الجهة العربية، والظاهر أنه لقب...» وهناك من قال إشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، والأظهر أنه قيل بالإشتقاق من الصوف نسبة إلى ظاهرة لبس الصوف، وكلمة التصوف يرجع معناها إلى الإبتعاد عن زخرف الدنيا وزينتها و العبادة و الإنقطاع إلى الله تعالى³، ومن ذلك كان التصوف عنوان للزهد والورع، وروي عن الأنبياء أن "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم" لا يستأثر لبس الصوف عن غيره من الثياب، ولذلك أصبح الناس يرتدون، وكان من يلبسه يتميز بالورع والزهد والإنقطاع عن ملذات الحياة الدنيا ويحظى بالإحترام والتقدير من قبل عامة الناس، وقد إنتشرت ظاهرة التصوف بشكل كبير بالجزائر مع بداية التواجد العثماني إذ أصبحت الحياة الروحية تقوم على نشاط هذه الفئة والتي لقيت تجاوب كبيرا من الأعيان، سواء في المدن

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 430.

2- أحمد مريوش: المرجع السابق، ص 88.

3- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 117-118.

أو الأرياف فقد إنتشرت في العديد من مناطقها وذلك عن طريق طلب العلم والمعرفة وحتى من خلال الرحلات التي كان الجزائريون يقومون بها سواء التجارية أو الحجازية. وعليه وجدت الصوفية ظروف ملائمة ساعدتها على نشر العلوم الدينية، حيث إزدهرت بفضلها المساجد والزوايا والرباطات على يد الشيوخ الذين مارسوا التصوف بصدق والذين حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام، وكذا إنشاء مجتمع مثقف يبتعد كل البعد عن الجهل والبدع والخرافات ومختلف الإعتقادات وذلك بأسلوبهم التربوي التعليمي، وبناء على كل التعاريف المقبولة والمعقولة فإن التصوف الحقيقي عند "سعد الله" تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعلم بهما والجمع... كما أوردنا سابقا¹.

ومن بين المتصوفة الذين فضلوا الزهد والتصوف والتجرد عن الهوى نذكر: "محمد بن يوسف السنوسي" و"أحمد بن يوسف الملياني"، و"عبد الرحمن الأخضرى"، و"عمر الوزان"، و"محمد أفغول" و"محمد بن شعاعة"... وغيرهم²، في حين إنحرف البعض عن الطريق الحقيقي للتصوف وتحولوا من العلم إلى الخرافة والشعوذة وهذا ما حدث لدى الكثيرين في عصر ساد فيه التخلف العقلي، إذ لم تسلم منه بقعة من بقاع الاسلام³ وذلك بإنتشار الفوضى الدينية وكثرة الخرافات والأساطير الزائفة، وهذا أدى إلى ظهور أشخاص هنا وهناك يدعون دعوات ضالة مضرّة بالمصلحة العامة، والملاحظ أن هذا النوع هو الذي غلب على الحياة الثقافية في الجزائر في هذه الفترة، إذ نامت فيه أعين الرقباء عن هذه الفئة من الناس التي أصبحت تعثوا في الأرض فسادا، بعدما كان التصوف يهتم بأمور العبادة ويبحث في الروح والعقل، وبهذا أصبحت الطرق الصوفية أشبه بحركات

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، صص482-483.

2- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، ص184.

3- محمد البشير الإبراهيمي: الطرق الصوفية، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، الجزائر، 2008م، ص29.

معادية لسلطة خلال نهاية هذه الفترة فرفضت الإجهاد والتفكير، وخرج بذلك التصوف عن المألوف من زهد وعبادة ليتحول إلى الشعوذة والدجل والطقوس والسحر.

وفي هذا الصدد يذكر "محمد بن ميمون" أن التصوف تحول إلى دروشة تتبلور في التوسلات للأضرحة والقبور والركون إلى الخرافات الخيالية، وقد وصف بأنه من يعيش على هذه الحالة فهو يعيش في عالم الأموات¹، ومن بين الأدلة التي دلت على التخلف العقلي ما نجده في الزوايا من إعتقادات زائفة ساعدت الصوفية على إستغلال الناس أذوي النفوس الضعيفة، وإن كان الدور الإيجابي يظهر جليا على الزوايا في ميدان التعليم وإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على العقيدة الإسلامية ومساعدة الفقراء والمحتاجين، فإن الأضرحة الموجودة بداخلها كانت تمثل الدور السلبي من طرف بعض الصوفية وبعض الناس من الجهال وضعاف الإيمان الذي يعتقدون بقدرة الأولياء والأضرحة²، فمنهم من يعتقد ببركة لعاب الصوفي للذي لا يعيش له أولاد، في حين أن البعض كانوا يفضلون زيارة زوايا المرابطين للتبرك بها فيوقدون المصابيح والشموع لإبعاد المصائب، فقد كانت النسوة تكثر في زاوية سيدي عبد القادر، كما كان العامة يكثرون في زاوية "علي الزواوي" لإعتقادهم بأن ماء الزاوية يشفي من الأمراض ويحفظ الأولاد ويذهب الحمى³، ومنهم من كان يقيم الذبائح والولائم ويقيم الحضرة (وهي تجمع الفقراء المؤمنين بدعوى من الشيخ للذكر)، لكن سرعان ما يتحول هذا الذكر إلى حدوث أمور غريبة ليس بينها وبين الدين أية صلة كالرقص بحركات موزونة وبأصوات منغومة تعلوا أو تنخفض بإشارات من الشيخ أو المقدم، ولم تكن كل مدينة تحتمي بولي صالح فحسب بل كانت كل جماعة تحتمي بولي صالح فمدينة تلمسان تحتمي بسيدي "أبي مدين"، أما حضر مدينة الجزائر كانوا يحتمون بسيدي "عبد الرحمان الثعالبي"، وجماعة بني ميزاب

1- ابن ميمون: المصدر السابق، ص 48.

2- عمار عمورة: الجزائر بواية التاريخ، ج2، المرجع السابق، ص ص162-169.

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 270.

سيدي "بنور"، والقبائل بسيدي "عبد الرحمان بوقبرين"، وجماعة الوصفان سيدي "بلال الحبشي"¹، ولم تكن هذه العقلية الصوفية المختلفة مقتصرة على العائلات الجزائرية فقط بل حتى الأتراك بما فيهم الحكام والجنود فقد كانوا يعتقدون بقدرة الأولياء على النصر وحماية المدينة من العدو، ففي غالب الأحيان كانوا يتبركون بالأضرحة قبل خروجهم للحرب وقبل قيامهم للغزو²، ولوتتبعنا أمثال هؤلاء لطلال بنا الحديث فبطون الكتب مليئة بهذه النماذج ولا شك أن ما لم يكتب وما لم يدون أكثر بكثير مما كتب ودون³.

2. أهم الطرق الصوفية بداية التواجد العثماني في الجزائر:

- الطريقة القادرية: تنسب القادرية إلى العالم المتصوف الشيخ "عبد القادر الجيلاني" والمعروف "بالكيلاني" والمتوفي في ببغداد عام (541هـ/1161م)⁴، حيث توجد الزاوية الأم التي تعتمد تقاليد القادرية والمتمثلة في العلم والأخلاق والذكر وحب الناس، فقد كان أهل القادرية يقرؤون الفاتحة بعد الصلوات الخمس ويصلون على النبي "محمد" صلى الله عليهم وسلم مئة و واحد وعشرون (121) مرة، في شكل جماعي ويذكرون عبارة « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » مئة و واحد وعشرون (121) مرة، ويقرؤون سورة "يس" لأن غايتها هي ذكر الله والإبتعاد عن شؤون الدنيا.

وصلت هذه الطريقة إلى الجزائر خلال القرن الخامس عشر (15م)، كما تولى نشر مبادئها الشيخ سيدي "شعيب بومدين" من بجاية خلال زيارته للمشرق الإسلامي، وأخذ من أعلام علمائها وإستفاد من زهادها وأخذ عن الشيخ "عبد القادر الجيلاني" الذي إلتقى به في رحلته، وبهذا توسعت الطريقة لتصل إلى زاوية (كنتا) بأدرار في الجنوب الغربي للجزائر، وليس هذا فحسب بل كانت لها علاقة وطيدة بزاوية الكاف بتونس، وحسبما ذكره

1- عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) مقارنة إقتصادية، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2007م، ص 123.

2 -عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج2، المرجع السابق، ص 169.

3 - عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، 2007م، ص 126.

4 - صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 143.

"سعد الله" فإن الشيخ "الحاج مصطفى المختاري الغريسي" قد أسس سنة (1200هـ)، زاوية قادرية (بالقيطنة)، وبهذا كانت مبادئ القادرية¹ تنتشر إلى حد كبير بين الجزائريين، فقد كانت العلاقة ودية بين الزاوية القادرية والعثمانيين في أول الأمر، فنجد أحد بايات وهران قد أسهم في بناء مساجدها وأيضاً في أوقافها، لكن نقمة العثمانيين على الطرق الصوفي قد شملت فيما بعد كذلك الطريقة القادرية²، وقد كان لهذه الطريقة زوايا عديدة وأضرحة وقباب ومساجد في بجاية وتلمسان وقسنطينة وأوقاف كثيرة ترسل من الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد³.

3. أثر المتصوفة على البنية الثقافية والاجتماعية:

حظي الصوفية بمكانة محترمة في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني وهذا لأن العثمانيون لم يهتموا بالجانب الديني والثقافي، وإنما إهتموا بالجانب العسكري فقد كانت سياستهم إتجاه السكان سلبية إرتكزت على جباية الضرائب وإتقال كاهل الشعب بها، ومن هذا المنطلق عمل الصوفية على ملئ الفراغ السياسي والثقافي نتيجة الفراغ الروحي و الديني الذي عاش في عزلة عن الإدارة التركية، فكانوا بمثابة البديل عن الأتراك في الولاء والتوجيه الروحي والعلمي بعد أن كانت العلوم غير موجودة⁴، وفي هذا الصدد وبالرغم من الركود الثقافي الذي كانت الجزائر تعرفه إستدعت الضرورة برجال الدين إلى أخذ زمام الأمور لإنتشال المجتمع من حالة الجهل والبدع والخرافات التي كانت يعيشها، ولو أنها لم ترق إلى الحالة التي وصلت إليها البلاد الأوربية، غير أنها كانت بطريقة أو أخرى سدا وأمان للمجتمع⁵، وبهذا كان ظهور العديد من المؤسسات الثقافية ومساجد وزوايا التي إهتمت بأمور الشريعة والدين الإسلامي، وهذا ما أشار إليه "شالر" بقوله « الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدين به الجزائريون، ولا يوجد في البلاد دينا آخر ماعدا

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص ص 513-514.

2- المرجع نفسه، ص 514.

3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 515.

4- وليام شالر: قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تع: إسماعيل العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 81.

5- زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، منشورات المكتبة العصرية، ج1، صيدا- لبنان، (د، ت)، ص41.

اليهودية المسموح بممارستها لليهود»¹، وبذلك إنتشرت العلوم الدينية في المدن والقرى وحتى المناطق النائية خاصة على أيدي الطرق الصوفية، التي ساهم شيوخها في نشر العلم في أوساط السكان من خلال الذكر والحلقات العلمية التي كان يحضرها العديد من الطلاب والشيوخ، والتي ساهمت في نشر العلم والثقافة و رغبتهم الجامحة في التعلم، والتي تتجلى بصورة أكثر في العناية بالزوايا والرباطات والقباب ونحوها من مظاهر خدمة الدين وأهله².

1- وليام شالر: مصدر سابق، ص 39.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 262.

خلاصة:

- كان ظهور المؤسسات الثقافية بالجزائر قبل الوجود العثماني في القرن (16م)، وذلك منذ إنطلاق الفتوحات الإسلامية بالمغرب العربي في القرن السابع ميلادي، مثل المسجد الذي كان في ذلك الوقت النواة الأولى كمؤسسة ثقافية تعليمية ودينية وفي آن واحد تبليغ رسالة الإسلام، ومعالجة مشاكل المجتمع في شتى مجالات الحياة الدينية والتعليمية والفضائية، ثم ظهرت بالتدرج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته وخفت عنه بعض الأعباء كتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الشرعية في مختلف المراحل وهي: المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية والزوايا والرباطات.

- معظم هذه المؤسسات كانت للتعليم أكثر منها للثقافة بمفهومها اليوم.

- لم يكن من بين المؤسسات التعليمية في الجزائر على العهد العثماني معهد عال، رغم أن بعض المساجد كانت تبتث تعليما في المستوى مثل الذي يقدم في جامع الأزهر والقيروان والقرويين.

- كانت الأوقاف أكبر مؤسسة متكاملة تغذي المؤسسات الثقافية التعليمية في الجزائر على العهد العثماني وتقدم خدمات جليلة للمجتمع.

- كانت جل المؤسسات الثقافية ثمرة المساهمة الاجتماعية المتراكمة مع بعض المساهمات والمبادرات لبعض الحكام العثمانيين.

- وصفوة القول إن السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني لم يخطط لها من طرف السلطة العثمانية التي كان كل همها حماية الوطن من خلال دعم الأمن والاستقرار السياسي ومحاربة المخاطر الخارجية.

- فالتعليم كان في مجمله تعليما أوليا مستندا إلى تعليم الجزائريون القراءة والكتابة والقرآن وحفظه، لذلك يعتبر تعليما فقيرا من حيث الإنتاج الثقافي ونجد في هذه الفترة عناية وتفرغ العلماء للعلوم لشرعية والآداب والتواريخ المحلية والسير، ولكن عنايتهم

بتدوين الطب والحساب والفلك قليلة، وما كان شائعا من علوم وفنون لا يخرج عن التقليد، ولم يكن ممارسيه يتمتعون بالإستقلالية في الفكر والعقل وروح الإبداع.

- إرتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في إيالة الجزائر العثمانية، بالمؤسسات التعليمية والتنظيمات الحيوية، وتأثر إلى حد كبير بدور الفقهاء بالمدن وشيوخ الزوايا بالريف، وكان لبناء هذه المؤسسة دور ثقافي واضحا في النشاط الديني والعلمي.

- ونجد أن السلطة العثمانية لم تضطهد الجانب الديني والثقافي، بل تركوا من تولوه (الصوفية) بعض الحريات، خصوصا من دان لها بالطاعة والولاء، فهي لم تحارب ولم تكن ضد السياسة التعليمية المتبعة وفي نفس الوقت لم تدعمها كما يجب أن تفعل.

- لعبت الطرق الصوفية دورا ثقافيا محوريا، حيث ساهمت في نشر التعليم الديني واللغة العربية من خلال الزوايا، كما حافظت على الهوية الإسلامية والثقافة المحلية في وجه التأثيرات الأجنبية، وكانت وسيلة لربط المجتمع والسلطة الروحية الاجتماعية في هذه الفترة.

الخاتمة

خاتمة:

- وفي ختام هذه الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج وهي كالتالي:
- ففي ضوء ما أورده "أبو القاسم سعد الله" الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، يمكن القول أن الحياة الثقافية في أواخر العهد الزياني، رغم ما شهدته البلاد من تفكك سياسي واضطرابات اجتماعية لم تكن منعدمة، بل استمرت الحركة التعليمية في النمو وساهمت في ظهور جيل من العلماء الذين قادوا المسيرة العلمية إلى الأمام.
 - من مظاهر إستمرارية الحياة الثقافية في نهاية العهد الزياني وجود مؤسسات ثقافية مثل: الكتاتيب، المساجد، المدارس والزوايا، التي لعبت دورا مركزيا في الحفاظ على التعليم ونقل المعرفة في وقت غابت فيه مؤسسات الدولة المركزية عن دعم النشاط الثقافي.
 - من خلال كتاب تاريخ الجزائر الثقافي أشار "سعد الله" إلى وجود عدد هائل من العلماء والفقهاء خاصة في تلمسان وما جاورها، الذين وصلوا التدريس والتأليف وخلفوا تراثا علميا هاما ما زال متوارثا بين الأجيال وهو ما يعكس إستمرارية الثقافة التقليدية.
 - معظم المؤسسات الثقافية كانت تمول بأموال الحبوس لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه، حيث أوكلت لها مهمة تحفيظ القرآن الكريم وتدريس مختلف العلوم سواء النقلية والعقلية.
 - ساد في القرن التاسع هجري الإتجاه الروحي (الإهتمام بعلوم الآخرة والتصوف)، وكانت هذه المرحلة تمثل حلقة إنتقالية بين إزدهار سابق وأفق جديد، سيتشكل لاحقا مع بداية التواجد العثماني.
 - عند المقارنة بين أواخر العهد الزياني وبداية العهد العثماني، يتضح من خلال طرح "أبي القاسم سعد الله" أنه مع بداية العهد العثماني ورغم أن هذه السلطة الجديدة لم تولي إهتماما كبيرا بالجانب الثقافي رسميا، إلا أن الإستقرار الأمني النسبي وعودة التنظيم الإداري ساعدا على إعادة تنشيط بعض المؤسسات الدينية والتعليمية.

- كانت جل المؤسسات التعليمية ثمرة المساهمة الإجتماعية المتركمة مع بعض المساهمات والمبادرات لبعض الحكام العثمانيين.
- كانت الأوقاف أكبر مؤسسة متكاملة تغذي المؤسسات الثقافية التعليمية في الجزائر على العهد العثماني وتقدم خدمات جلية للمجتمع.
- لعبت الزوايا دورا أكبر وأكثر تنظيما مما كانت عليه في العهد الزياني، وبرزت مراكز علمية جديدة وحركة النسخ والتأليف وإن كانت محدودة النطاق.
- نجد أن العهد العثماني لم يشكل قطيعة تامة مع المرحلة السابقة بل استند إلى ما بقي من الروافد الثقافية الزيانية، ثم إعادة تشكيلها ضمن سياق جديد سمح بقدر من الإستمرارية والتجديد.
- حاولت المؤسسات الثقافية فرض وجودها على المجتمع من خلال مهامها وما كانت تقدمه من مساعدات وتنظيمات للسكان ذوي الإحتياجات من فقراء وعلماء وطلبة وغيرهم، كما تميزت أيضا بكثرة عددها وإنتشارها في مناطق مختلفة.
- كانت معظم المؤسسات الثقافية في بداية التواجد العثماني للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم، وقد ظلت الحركة التعليمية مقتصرة بالدرجة الأولى على التعليم الديني بإعتباره أساس الشريعة الإسلامية، وظل يعاني من الطابع التقليدي.
- إرتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في إيالة الجزائر العثمانية بالمؤسسات التعليمية والتنظيمات الحيوية، وتأثر إلى حد كبير بدور الفقهاء في المدن والشيوخ الزوايا بالريف، وكان لبناء هذه الأخيرة دور واضح في النشاط الديني والعلمي.
- خلال هذه الفترة كانت هناك عناية وتفرض من العلماء للعلوم الشرعية والآداب والتواريخ المحلية والسياسية، ولكن عنايتهم بتدوين الطب والحساب والفلك قليلة، وكل ما كان شائعا من علوم وفنون لا تخرج عن التقليد، لم يكن ممارسيه لا يتمتعون بالإستقلالية في الفكر والعقل وروح الإبداع.

خاتمة

- وصفوة القول أن السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني، لم يخطط لها من طرف السلطة العثمانية التي كان همها حماية الوطن من خلال الدعم الأمن والإستقرار السياسي ومحاربة المخاطر الخارجية، فالتعليم كان في مجمله تعليما أوليا مستندا الى تعليم الجزائريين القراءة والكتابة والقرآن وحفظه وهو تعليم يعتبر فقيرا من حيث الإنتاج الثقافي.

- ونجد أن السلطة العثمانية لم تضطهد الجانب الديني والثقافي، بل تركوا لمن تولوه (الصوفية) بعض الحريات، خصوصا من دان لها بالطاعة والولاء فهي لم تحارب ولم تكن ضد السياسة التعليمية المتبعة، وفي نفس الوقت لم تدعمها كما يجب أن تفعل.

- لعبت الطرق الصوفية دورا ثقافيا محوريا، حيث ساهمت في نشر التعليم الديني واللغة العربية من خلال الزوايا، كما حافظت على الهوية الإسلامية والثقافة المحلية في وجه التأثيرات الأجنبية، وكانت وسيلة لربط المجتمع بالسلطة الروحية الاجتماعية في هذه الفترة.

- نجد أنه رغم تقليدية السياسة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني خصوصا في بدايته، فإنها ساعدت على نشر الحد الأدنى من المعارف وأسهمت في نشر مبادئ القراءة عبر المساجد والكتاتيب والزوايا، مما جعل فرنسا عند إحتلالها للبلاد لا تجد مجتمعا غارقا في الأمية الكاملة، بل بيئة معرفية قائمة على أسس دينية وثقافية.

- وإستنتجت من خلال ما أورد "سعد الله" في الكتاب أن العثمانيين لم يأتوا بمشروع ثقافي متكامل للجزائر بل ركزوا بالأساس على الجانب السياسي والعسكري، تاركين المجال الثقافي للمؤسسات المحلية التي ساهمت في إستمرارية أداء ادورها التعليمية والدينية، وأن التفاعل الثقافي الجزائري العثماني لم يكن غائبا تماما، بل تجلى في بعض التأثيرات اللغوية والاجتماعية والإدارية مع محافظة المجتمع الجزائري على الهوية الثقافية الوطنية.

خاتمة

- فتأليف "أبو القاسم سعد الله" لموسوعة التاريخ الجزائري الثقافي، حاول من خلالها إبراز المساهمة الحضارية الإنسانية للجزائر، والتي جمعها من مختلف رحلاته وإستغراق عقودا لتأليفها وذلك لغيرته على تاريخ بلده الذي إحتكره المؤرخين الأجانب.
- وملخص القول أن الثقافة الجزائرية خلال بدايات العهد العثماني، شهدت نوعا من الاستمرارية والحيوية بفضل دور العلماء والزوايا والمؤسسات التعليمية، كما عكسته رؤية "أبي القاسم سعد الله" في كتابه.
- يعد كتاب تاريخ الجزائر الثقافي "لأبو القاسم سعد الله" من أهم المراجع التي أسهمت في كشف معالم الحياة الثقافية للجزائر خلال فترة التواجد العثماني، كونه قدم لنا مادة علمية عزيزة ومتنوعة.
- "سعد الله" من خلال هذا الكتاب قدم لنا رؤية شاملة تتجاوز السرد التقليدي وعمد إلى إبراز دور المؤسسات التعليمية الدينية في ترسيخ الهوية الوطنية وحماية المجتمع من الذوبان، كما بين مساهمة العلماء والنخب المحلية في إثراء المشهد الثقافي ومواجهة التحديات الخارجية.
- هذه بعض الإستنتاجات التي توصلت إليها وهي لا تعتبر أحكاما مطلقة أو نهائية، بل قابلة للزيادة والإثراء فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/المصادر:

- القرآن الكريم.

- الكتب:

- 1- إبراهيم باشا بن مصطفى: حكاية العشاق في الحب والإشتياق، تح: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1983 م.
- 2- أبوعصيدة البجائي أحمد: رسالة الغريب الى الحبيب، تح: أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 2005 م.
- 3- التلمساني محمد بن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بغيرة، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.
- 4- التلمساني محمد بن عبد الرحمن: الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، تح: محمد بن أبي شنب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 5- التتبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطوير الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ط 1، طرابلس، 1989م.
- 6- التمنغروطي أبوالحسن علي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تح: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ابوظبي، الامارات العربية المتحدة، 2007م.
- 7- التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني عبد الواد ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف ملوك بني زيان)، تح: محمود آغا، موقم للجزائر (د-ت).
- 8- الزركشي محمد بن عبد الله: أعلام المساجد بأحكام المساجد، تح: أبو الوفاء مصطفى المراغي، مطابع الاهرام التجارية، مصر، 1999م.
- 9- الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 'نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، ط1، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

قائمة المصادر والمراجع

- 10- الزياتي محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق وتغ: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007م.
- 11- السنوسي محمد بن يوسف: شرح المختصر في المنطق، تح: سعيد عينوان، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، (د-ت).
- 12- العدواني محمد بن محمد بن عمر: تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 2005م.
- 13- العياشي عبد الله: الرحلة العياشية، تح وتغ: سعيد الفاضلي، دار السويد للنشر والتوزيع، الامارات العربية، 2006م.
- 14- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، 1987م.
- 15- القلقشندي أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ط2، 1982م.
- 16- المزاري بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودرا: يحيى بوعزيز، ج 1، دار الغرب الاسلامي بيروت 1990م.
- 17- المقرئ أبو عبد الله: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تق: احسان عباس، دار صادر، ج 5، بيروت-لبنان، 1988م.
- 18- المكناسي أحمد بن القاضي: جذوه الإقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، تح: محمد القبلي، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

قائمة المصادر والمراجع

- 19- الناصر محمد بن أبي راس: عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، تق وتق: محمد غالم، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005م.
- 20- الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ج 1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الاسلامي، ط2، لبنان، 1983م.
- 21- بريروس خير الدين: مذكرات المجاهد خير الدين بريروس، تر: محمد دراج، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
- 22- بن حمادوش عبد الرزاق: رحله بن حمادوش الجزائري، تق وتق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- 23- (—، —): لسان القال في النبأ عن النسب والحسب والمال، تح وتق: أبو القاسم سعد الله، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
- 24- بن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ط 1، دار القلم، بيروت- لبنان، 1984م.
- 25- (—، —): ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 07، مرا: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2000م.
- 26- بن خلدون يحيى: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ط1، بونطانة الشرقية، الجزائر (1321هـ / 1903م).
- 27- بن سحنون أحمد: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهداني، تح وتق: المهدي الوعيد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د-ت).
- 28- بن عمار أحمد: مختارات مجهولة من الشعر العربي تق وتق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 م.

قائمة المصادر والمراجع

- 29- بن مريم أبوعبد الله محمد: البستان في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908 م.
- 30- بن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر، 1981م.
- 31- بن هطال أحمد التلمساني: رحلة محمد الكبير، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، دار السويد، ابوظبي، مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2004م.
- 32- خوجة حمدان: إتحاف المنصفين والأدباء في الإحترار من الوباء، تح وتق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.
- 33- (—، —): المرأة، تح: محمد العربي الزبيري، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار (ANEP)، 1975م.

ثانيا/ المراجع:

- 1- أبو مصطفى كمال: جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، 1997م.
- 2- الإبراهيمي محمد البشير: الطرق الصوفية، ط1، مكتبة العزباء الاثرية، الجزائر، 2008م.
- 3- الترمذ سامح عزيز: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، ط1، دارالنهضة العربية، بيروت- لبنان، 1989م.
- 4- التليسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/ 10 م، دار المدار الاسلامي، بيروت- لبنان، 2003م.

قائمة المصادر والمراجع

- 5- التيجاني عبد الرحمن بن أحمد: الكتابيب القرآنية بندرومة (1900- 1977م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- 6- الصيد سليمان: نوح الازهار في قسنطينة الاخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، (د-ت).
- 7- الطيبي محمد: عشية الغزو الاحتلالي " الدراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات، ط2، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
- 8- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي، الدار البيضاء،-المغرب، 2000م.
- 9- العسلي بسام: خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470-1547م)، دار النفائس، لبنان، 1986م.
- 10- الفيلاي محمد الطاهر: المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر، 1976م.
- 11-المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492- 1792)، ط 1، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
- 12- (—، —) : في الهوية والانتماء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م.
- 13- (—، —) : محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، دار البصائر، الجزائر، 2008م.
- 14- الميلي المبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة العربية الجزائرية، الجزائر، 1964م.
- 15- أوجين فايس: تاريخ بيات قسنطينة في العهد التركي (1792- 1873م)، تح: صالح نور، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

قائمة المصادر والمراجع

- 16- إيشودان العربي: مدينة الجزائر (تاريخ العاصمة)، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 17- براهيمى نصر الدين: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات الأبيار، الجزائر، 2010م.
- 18- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي الى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1987م.
- 19- بلحميسي مولاي: مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليلين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005م.
- 20- بن الذيب عيسى وآخرون: المراكز والحواضر الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، مركز البحث والدراسات في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 21- (____، ____): سلسلة المشاريع الوطنية للبحث (الحواضر والمراكز في الجزائر في العصر الوسيط)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.
- 22- بن خيرة نجيب: أبو القاسم سعد الله، بعيون مختلفة، عالم المعرفة، الجزائر، 2014م.
- 23- بن رمضان شاوش الحاج محمد: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.
- 24- بن زيان أشنهوعبد الحميد: دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر، الطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972م.
- 25- بن عبد الكريم محمد: حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ومطبعة الغريب، 1972م.

قائمة المصادر والمراجع

- 36- حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط 1، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972م.
- 37- درياس يمينة: السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 38- رمول الخالد: الإطار القانوني والتنظيمي لأملاك الوقف في الجزائر، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2007م.
- 39- زرهوني الطاهر: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993م.
- 40- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 41- سبنسر وليام: الجزائر في عهد الرياس البحر، تر: عبد السلام إدريس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 42- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 43- (____، ____): أفكار جامعة عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- 44- (____، ____): الحركة الوطنية الجزائرية، ج1-3، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005م.
- 45- (____، ____): الطبيب الرحالة بن حمادوش الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- 46- (____، ____): المفتي الجزائري محمود بن العنابي، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.

قائمة المصادر والمراجع

- 47- (____، ____): تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830م) ج1-2-3-4-5-7-10، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت- لبنان، 1998م.
- 48- (____، ____): تاريخ الجزائر الثقافي (1954 - 1962م)، ج 9، دار البصائر، الجزائر، 2009 م.
- 49- (____، ____): حبر على ورق، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.
- 50- (____، ____): حوارات، ط1، دار العرب الاسلامي، بيروت -لبنان، 2005م.
- 51- (____، ____): حياتي، عالم المعرفة، الجزائر، 2015 م.
- 52- (____، ____): خارج السرب، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.
- 53- (____، ____): في الجدل الثقافي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، (د-ت).
- 54- (____، ____): قضايا شائكة، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 1993م.
- 55- (____، ____): محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، ط خ، دار الرائد، الجزائر، 2009م.
- 56- (____، ____): محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية للكتاب، للجزائر 1974م.
- 57- (____، ____): مسار قلم، ج 6، 5، 3 دار المعرفة الجزائر، 2013م.
- 58- (____، ____): منطلقات فكرية، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، 2005 م.
- 59- سعيدوني نصر الدين: أبو القاسم سعد الله، كلمة وفاء، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

قائمة المصادر والمراجع

- 60- (____، ____): النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني (1792-
1830م) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- 61- (____، ____): دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في الفترة
الحديثة، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 2001م.
- 62- شالر وليام: قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824م)، تع: إسماعيل
العربي، ط1، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- 63- شتره خير الدين: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900- 1956 م) "
الروابط الحضارية بين القطرين وأثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري"، ج1، ط2، قسم
التاريخ الجامعة الإفريقية، أدرار، دار كردادة، الجزائر، 2013 م.
- 64- شقدان بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني (633- 962 هـ
1235/ -1555م) جامعة النجاح الوطنية فلسطين، 2002م.
- 65- شهبي عبد العزيز: الزوايا والصوفية والغربة والاحتلال الفرنسي في الجزائر،
دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007م.
- 66- شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعاليتته في العهد العثماني (1519-
1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.
- 67- صبحي حسان: العقيدة التربوية الإستعمارية الفرنسية في الجزائر(د.د.)،
الجزائر، 2014م.
- 68- طمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- 69- طيارة عفيف: روح الصلاة في الإسلام، ط8، دار العلم بالملايين، بيروت-
لبنان، 1978م.

قائمة المصادر والمراجع

- 70- عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، 2011م.
- 71- عبدلي لحضر: تاريخ مملكة تلمسان عهد بني زيان (1236-1554م)، دار الأوطان، تلمسان، 2011م.
- 72- عقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر وتاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت- لبنان، 2002م.
- 73- عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ (من ما قبل التاريخ الى 1962م)، ج1، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 74- غربي كمال: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، منشورات الشؤون الدينية والاقواف، تلمسان، 2011م.
- 75- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م)، مقاربة إقتصادية، منشورات (ANEP)، الجزائر، 2007م.
- 76- فركوس صالح: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي الى غاية الاستقلال، ج1، دار إيديكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 77- فويال سعاد: المساجد الاثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.
- 78- فيلاي عبد العزيز: بحوث المغرب الأوسط، دار الهدى، الجزائر، 2014م.
- 79- (—، —): تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية إجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 80- مبارك زكي: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، منشورات المكتبة العصرية، ج1، صيدا - لبنان (د-ت).
- 81- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007م.

قائمة المصادر والمراجع

- 82- مريوش أحمد وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2007م.
- 83- مريوش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "العملة، الاسعار، والمداخيل"، ج 1، دار القصة للنشر، الجزائر، 1983م.
- 84- معروف بلحاج: العمارة الإسلامية، مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، ط1، 2007، ص 184.
- 85- مفلح محمد: غليزان مقاومات وثورات من 1500 - 1914، دار الاديب، الجزائر، 2010م.
- 86- نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.
- 87- هلاي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
- 88- وزناجي مراد: مفهوم التاريخ عند أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، 2005م.
- 89- وولف جون باتيست: الجزائر وأوروبا (1500- 1830م)، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي بيروت- لبنان، 2005م.
- 90- يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، 1920-1954م، دار الامل، الجزائر، 2007م.

ثالثا/ المجالات:

- 1- العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجله سيرتا، ع 3، مطبعة البعث، قسنطينة، (د-ت).

قائمة المصادر والمراجع

- 2- بزيان سعدي: في رحاب الفكر والتاريخ- رحلة فكرية وأدبية في حياه شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، مجله البصائر، ع 437، الجزائر، 29 مارس- 4 أبريل 2009م.
- 3- بليل محمد: الكتابة التاريخية عن شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والكتابة التاريخية، مجله عصور، ع 13، الجزائر، أبريل 2014م.
- 4- بوعبدلي المهدي: الرباط والفداء في وهران والقبائل، مجله الأصالة، ع 13، الجزائر، 1973م.
- 5- (—، —): مركز الثقافة وخزائن الكتاب بالجزائر، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية، ع 11، مطبعة البعث، قسنطينة، نوفمبر- ديسمبر 1972م.
- 6- بوعزيز يحيى: أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع والعشرين، مجلة الثقافة، ع 326، الجزائر، 1981م.
- 7- تراري مختارية: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، ع 14- 15، الجزائر 2001م.
- 8- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، ع 26، الجزائر، (د-ت).
- 9- حمادي البشير: جيل الثورة سلم الراية لمن يستحقها، مجلة الحقائق، ع 28/29، الجزائر، 25 ماي 2007م.
- 10- حميدي أوبكر الصديق: قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله، مجلة العصور الجديدة، ع 13، دار القدس، الجزائر، 2014م.

رابعاً / الجرائد والمقالات والملتقيات:

أ/ الجرائد:

1- قسوم عبد الرزاق: موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية، الخبر، ع 7284، الجزائر، 15 ديسمبر 2013م.

2- وزناجي مراد: حديث صريح مع الدكتور أبو القاسم سعد الله في الفكر واللغة والثقافة، ط 1، منشورات الخبر، الجزائر، 2008م.

ب/ المقالات:

- بونابي الطاهر: منهج أبو القاسم سعد الله في كتاب التاريخ الثقافي للمغرب الاوسط في العصر الوسيط، القسم الاول (مستوى التاريخانية)، جامعه المسيلة (د-ت).

ج/ الملتقيات:

- سيدهم فاطمة الزهراء: الثقافة بالجزائر العثمانية في نهاية القرن 18 م وبداية القرن 19 م، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 18-19 فبراير 2014م.

خامساً/ الرسائل والأطروحات الجامعية:

أ/ الدكتوراة:

1- بالعربي خالد: التطور السياسي للدولة العباوية في عهد السلطان يغمراسن، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2003-2004 م.

2- بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

- 3- خالدي مريم: أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله، أطروحة دكتوراة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة الجيلالي الياصب بسيدي بلعباس، 2017-2018 م.
- 4- دحية فاطمة: الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2014-2015 م.
- 5- سلام أيمن شاهين: المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي في نشر المذهب السني، دراسة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة طانطا، مصر، 1999 م.
- ب/ الماجستير:**
- 1- الشيخ دارم: النظم التعليمية في الزوايا - زاوية الهامل نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، 2013-2014 م.
- 2- القرين العربي: مدارس السلطان أبي الحسن علي - مدرسة سيدي أبي مدين نموذجاً - دراسة أثرية وفنية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000 - 2001 م.
- 3- أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر، 2007 - 2008 م.
- 4- بالأعرج عبد الرحمن: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007/2008 م.
- 5- بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن (10 هـ - 16 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006 م.
- 6- بن أباجي ليلي: المآذن في المغرب الجزائري دراسة فنية ومعمارية، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009 - 2010 م.

قائمة المصادر والمراجع

- 7- بوديعة ياسين: أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007م.
- 8- زقب عثمان: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة واد سوف (1918-1947م) وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2005-2006م.
- 9- شكري معمر رشيدة: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة الجزائر، 2007م.
- 10- صغيري سفيان: العلاقات العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011/2012 م.
- 11- عمار فاطمة الزهراء: المدارس التعليمية بتلمسان، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة وهران، 2009-2010م.
- 12- عياشي بالقاسم: قضايا تاريخ العثماني عند الباحثين منذ 1962 م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 2006-2007 م.
- 13- كعي علي بن يحيى: آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي بالإعتقادية من خلال تفسيره، ماجستير في العقيدة، جامعة أم القرى، مكة بالمملكة العربية السعودية، (د-ت).
- ج/ الماستر:
- 1- بكاي هواري: العلاقات الزبانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، 2008م.

قائمة المصادر والمراجع

- 2- مسعود بن مبروك وآخرون: الدولة الزيانية على عهد أبوموسى الثاني (760-791 هـ)، مذكرة ماستر في تاريخ الغرب الاسلامي الوسيط، جامعة محمد خيضر بيسكرة، 2020-2021م.
- 3- بوعزيز سلمى وعوابدي نور الهدى: الثورة الجزائرية من خلال كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" ج 9 (1954-1962 م) لأبو القاسم سعد الله، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945م بقالمة، 2020-2021 م.
- 4- خالدي عائشة وبن علي مبروكة: أبو القاسم سعد الله ودوره في كتابه التاريخ الوطني (1966-2013م)، مذكرة مكمله لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2018-2019 م.
- 5- قطوش حفصية وآخرون: أبو القاسم سعد الله مؤرخا (1930-2013 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، 2014-2015 م.

سادسا/المعاجم والقواميس:

- 1- بن منظور جمال الدين: لسان العرب، مج 2، دار صادر، ط 2، بيروت-لبنان، (د-ت).
- 2- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، ط 2، مؤسسة نويهض، لبنان، 1982 م.
- 3- مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1، دار الدعوة، القاهرة، 2010م.

سابعا/ المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Assia Djébar: veles d'Algérie ou 9ème siècle, édition "ANEP", Alger, 2005.

2-SHAW: voyage dans la régence d'Alger, traddeian pary,
carthy2 ème ed Bouslama, turis, 1980.

.

فهرس الموضوعات

الشكر

الإهداء

قائمة المختصرات

أ- ح.....	مقدمة.....
الفصل التمهيدي/ نبذة عن حياة أبو القاسم سعد الله وكتابه	
10.....	تمهيد.....
10.....	1. المولد والنشأة والوفاة.....
10.....	1. المولد والنشأة.....
13.....	2. الوفاة.....
14.....	3. التكوين والدراسة.....
14.....	3.1 تعليمه في الجزائر.....
15.....	3.2 تعليمه في تونس.....
17.....	3.3 تعليمه في مصر.....
18.....	3.4 تعليمه في أمريكا.....
20.....	II. النشاط العلمي والإنتاج الفكري.....
20.....	1. النشاط العلمي.....
20.....	1.1 تدريسه في أمريكا.....
21.....	2.1 تدريسه في الجزائر.....
21.....	3.1 تدريسه في جامعة الأردن.....
22.....	2. الإنتاج الفكري (مؤلفاته):.....
22.....	1.2 الترجمة:.....
23.....	2.2 التحقيق.....

29.....	3.2 في التاريخ.....
29.....	4.2 أعلام ودراسات.....
31.....	5.2 إبداعات وتأملات.....
31.....	6.2 بحوث.....
32.....	IV.التعريف بالكتاب.....
33.....	1.1 تقديم الكتاب.....
36.....	2.1 محتوى الكتاب.....
39.....	3.1 قيمة الكتاب.....

الفصل الأول/ الحياة الثقافية للجزائر قبل التواجد العثماني

45.....	تمهيد:.....
45.....	I.الوضع السياسي للجزائر أواخر القرن 15م.....
47.....	II.المؤسسات التعليمية (الثقافية) في الدولة الزيانية.....
48.....	1.المساجد والكتاتيب والمعمرات.....
57.....	2.المدارس والزوايا والمكتبات.....
67.....	3.الوقف.....
68.....	III.أصناف العلوم في الدولة الزيانية وعلمائها.....
68.....	1. العلوم النقلية والعقلية.....
68.....	1.1 العلوم العقلية.....
69.....	2.1 العلوم النقلية.....
70.....	2. العلماء والأمراء.....
77.....	3. الحواضر الثقافية.....
78.....	IV.التعليم ومناهجه.....
78.....	1. طرق التدريس.....

79.....	2. مناهجه.....
79.....	3. مراحل التعليم: يمكن إيجازها في ثلاث مراحل.....
80.....	4. نظام التعليم.....
81.....	5. المؤثرات الثقافية.....
82.....	6. حركة التصوف نهاية العهد الزياني.....
85.....	خلاصة.....

الفصل الثاني/ الوضع الثقافي في الجزائر (1519-1671م).

87.....	- تمهيد:.....
88.....	1. الوضع السياسي للجزائر بداية القرن السادس عشر ميلادي.....
90.....	II. المؤسسات الثقافية.....
90.....	1- المساجد والزوايا.....
96.....	2- الكتاتيب والمدارس.....
100.....	3- الرباطات والمكتبات.....
104.....	4- الأوقاف (الوقف الثقافي).....
107.....	III. التعليم ورجاله.....
107.....	1- سياسة التعليم.....
111.....	2- وسائل التعليم.....
113.....	3- مراحل التعليم ومناهجه.....
116.....	IV. العلوم وأنواعها.....
116.....	1- العلوم الشرعية.....
118.....	2- العلوم النقلية.....
121.....	3- العلوم العقلية.....
123.....	V. فئة العلماء ومناصبهم وعلاقتهم بالحكام.....

123.....	1- فئة العلماء ومناصبهم.....
127.....	2- علاقة العلماء بالحكام.....
129.....	3- هجرة العلماء.....
131	VI. المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر بداية العهد العثماني.....
131.....	1- التصوف بداية التواجد العثماني في الجزائر.....
135.....	2- أهم الطرق الصوفية بداية التواجد العثماني في الجزائر.....
136.....	3- أثر المتصوفة على البنية الثقافية والاجتماعية.....
137.....	- خلاصة.....
140.....	الخاتمة.....
144.....	قائمة المصادر والمراجع.....

ملخص الدراسة:

الملخص: تعالج هذه الدراسة موضوع الحياة الثقافية في بداية التواجد العثماني في الجزائر، اعتمادًا على الجزأين الأول والثاني من كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله. وقد سعت إلى تسليط الضوء على ملامح الحياة الثقافية في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مركزةً على دور المؤسسات الدينية والعلمية مثل الزوايا والكتاتيب والمساجد، بالإضافة إلى دور العلماء في الحفاظ على الهوية الثقافية رغم الظروف السياسية التي ميّزت الحكم العثماني.

وقد بينت الدراسة أن الثقافة الجزائرية لم تتوقف خلال هذه الفترة، بل شهدت نوعًا من الاستمرارية بفضل جهود النخب المحلية والأوقاف التي مولت التعليم. كما ساهم الوافدون من المشرق والأندلس في إثراء الحركة الفكرية.

وخلصت إلى أن "سعد الله" قدّم رؤية تاريخية دقيقة وموثقة، اعتمد فيها على مصادر متنوعة، مما جعل عمله مرجعًا هامًا في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي.

الكلمات المفتاحية :

الحياة الثقافية، التواجد العثماني، الجزائر، القرن 16 و 17 م، أبو القاسم سعد الله، المؤسسات الدينية، العلماء، الهوية الثقافية، الأوقاف، التعليم، المشرق، الأندلس، الحركة الفكرية.

Abstract:

This study addresses the subject of cultural life at the beginning of the Ottoman presence in Algeria, relying on the first and second parts of the book "The Cultural History of Algeria" by Abu al-Qasim Saadallah. It aimed to highlight the features of cultural life in Algeria during the 16th and 17th centuries, focusing on the role of religious and scientific institutions such as zawiyas, kuttabs, and mosques, in addition to the role of scholars in preserving cultural identity despite the political circumstances that characterized Ottoman rule.

The study showed that Algerian culture did not stop during this stage but rather witnessed a kind of continuity thanks to the efforts of local elites and the endowments that funded education. Also, the newcomers from the Mashriq and Al-Andalus contributed to enriching the intellectual movement.

It concluded that "Saadallah" presented a precise and well-documented historical vision in which he relied on various sources, which made his work an important reference in his book The Cultural History of Algeria.

Keywords:

Cultural life, Ottoman presence, Algeria, 16th–17th centuries, Abu al-Qasim Saadallah, religious institutions, scholars, cultural identity, endowments, education, Mashriq, Al-Andalus, intellectual movement.